الفصل الثانى

الأقبـاط فى مصر

١ شئون الكنيسة

٢ المسيحية السياسية

٣ التعصب والفتنة

obeikandl.com

obeikandl.com

شئون الكنيسة

أراد البعض أن يحدث بلبلة بين الأقباط ، بنشر أنباء عن مرض قداسة البابا شنودة بمرض خطير ، وربما كان ذلك تعبيرًا عن أمنية يأملونها ، أو أنهم يريدون أن يشغلوا البابا بسلسلة من الأكاذيب ، لكى يترك مسئولياته ، وينشغل فى التكذيب ، والرد ، أو ربما يريدون أن يقولوا نحن هنا ونستطيع أن نثير المشاكل ، ومع ذلك ، فلا أثر لما يقولون .. وقد أصبحت الناس واعية ، وتميز بين الصدق والكذب .

يقول قداسة البابا : إن المشكلة أن الذين يريدون إثارة المتاعب يخترعون كل يوم حكاية جديدة . فهم يقولون : إن البابا شنودة عطل المجلس الملى ، وفعل كذا ، وكذا ؛ لسلب اختصاصات هذا المجلس وأنه ضد الديمقراطية فى الكنيسة .

ما معنى الديمقراطية فى الكنيسة ؟ ..هل معناها أن يشترك الشعب فى إدارة شئون الكنيسة ؟ .. هذا يحدث فعلا .. هل معناها أن يتخلى رجال الدين عن وظيفتهم الروحية ويتركوا شئون الرعاية للعلمانيين ؟ .. هذا لن يحدث طبعا .. رجل الدين له دور سيبقى ..ومع الأسف فإن الذين يسمحون لأنفسهم بالخوض فى الشئون الداخلية للكنيسة والكهنوت ليس لهم صلة بهما ولا دراية ولا معرفة بطبيعة كل منهما ..

ثم قال البابا :

ومع ذلك سأقول لك قصتى مع المجلس الملّى منذ بدايتها :

عندما بدأت فى تولى مسئوليتى فى ١٤ نوفمبر ١٩٧١ بعد التنصيب كان نشاط المجلس الملى مجمدا ، وكان الأستاذ صليب انطون المحامى ووزير التموين الأسبق قد رفع دعوى لإعادة المجلس الملى باعتبار أن إيقاف المجلس تم دون سند قانونى .. وعقدت اجتماعا للمجمع المقدس فرأيت أن المجمع يميل إلى عدم إعادة المجلس الملى الموقوف ، وكان اتجاهى أن هناك مهام إدارية عاجلة وكثيرة تحتاج إلى وجود المجلس الملى .. فهناك أراضٍ زراعية تحتاج إلى متابعة ، وموظفو البطريركية ، والمدارس ، وغير ذلك من شئون تحتاج إلى المجلس الملى ليتولى إدارتها ، وقلت يومها : أنا شخصيا لا أستطيع إدارة كل هذه الأنشطة ، وإننى أحتاج إلى وجود المجلس الملى بجانبى ، والمجلس مكون من ٢٤ أريدهم معى بعقولهم وأرواحهم ليساعدونى ، فهذه بركة كبيرة .

وقمنا باتصالات بالرئيس السادات وسهّل لنا عودة المجلس الملى .. وبدأت علاقة جديدة بين البابا والمجلس الملّى .

قديما كان الباباوات يعتبرون المجلس الملى منافسا لهم فى السلطة ، فلا يحضرون اجتماعاته ، مع أن البابا بحكم القانون هو رئيس المجلس ، ولكن الباباوات كانوا يتركون رئاسة الجلسات لوكيل المجلس ، حتى أن المجلس الملى كان يعتبر شيئًا منفصلا عن البابا وينسب إلى الوكيل ، فيقولون هذا مجلس إبراهيم فهمى المنياوى باشا ، وهذا مجلس حبيب المصرى باشا ، وكان وكلاء المجالس الملية يعتبرون أنفسهم زعماء الأقباط .

عندما أجريت الانتخابات لاختيار أعضاء المجلس نجحت القائمة التى

اعتبر الأقباط أن أعضاءها ممن يرضى عنهم البابا ، ونجح ٢٤ عضوا ممن قالوا عنهم : إنهم قائمة البابا ، وكان ذلك بداية عهد جديد انتهى فيه التباعد بين البابا والمجلس الملى .

أول خطوة قمت بها هى أننى دعوت أعضاء المجلس الجديد ورسّمتهم شمامسة فى الكنيسة وأقمت معهم القداس ، وبذلك انتهت المسافة بين المجلس الملّى والكنيسة ، لأنهم أصبحوا من خدام الكنيسة ..

وكانت الجلسة الأولى للمجلس الجديد التى حضرتها هى أول جلسة تعقد برئاسة البابا منذ سنوات طويلة ، وبعدها استمرت اجتماعات المجلس الملى برئاسة البابا بنفسه .. وكل الموضوعات تتم فيها المناقشة بحرية كاملة إلى أن ننتهى إلى توافق الآراء ،ولذلك فكل القرارات التى صدرت من المجلس الملى صدرت بالإجماع وليس بالأغلبية . ومعنى ذلك أنه ليس هناك معارضة كما يروج البعض ويتمنى .. !

وفى بعض الأحيان عندما أجد أن بعض الأعضاء لديه آراء تختلف عن الأغلبية أطلب تأجيل الموضوع لإعادة الدراسة ، ليأخذ كل موضوع حقه فى الحوار ، ولا يخرج عضو واحد وهو يشعر أن الأغلبية تضغط عليه .. لم يحدث فى المجلس الملّى شىء مما يقوله البعض من أن الأغلبية تضغط على الأقلية .. لأنه ليس فى المجلس أغلبية وأقلية ..ولكن المجلس وحدة واحدة .. وربما هذا يسبب القلق والغضب عند البعض الذين يريدون أن يحدث اختلاف أو انشقاق .. ونشكر ربنا أن أمنية هؤلاء لم تتحقق والمجلس الملى يعمل معا بروح الفريق ويتعاون فى محبة .

فى فترات سابقة ، وحتى فى عهد البابا كيرلس كانت تحدث خلافات بين البابا والمجلس الملى وينتهى الأمر بحل المجلس الملى ، ولكن هذا لم يحدث طوال ٢٦ عاما .. فكيف يقال : إن هناك خلافات أو إن هناك معارضة .. ؟

□□□

وعن اختيار الأساقفة .. يقول البابا شنودة :

القاعدة الجديدة التى أرسيتها طوال ٢٦ عاما هى أن الشعب القبطى يجب أن يكون له الحق فى اختيار الراعى ، وهذا يضمن أن يقوم بمهمته بسهولة ، ولكن إذا كان الراعى مفروضا على الناس من سلطة أعلى فهذا يفتح الباب للانقسامات والخلافات .. وكانت البداية فى أسقفية الغربية والبحيرة وكانت خالية ، فقررت تقسيمها إلى اثنتين : الغربية وحدها ، والبحيرة وحدها ، لأن وجود مطران واحد لمحافظتين كبيرتين يجعل من الصعب عليه القيام بمسئوليته الروحية كاملة .. وقيل لى : إن المطران السابق كان مقيما فى محافظة الغربية وظل مطرانا لأكثر من ١٢ سنة لم يزر فيها محافظة البحيرة كلها إلا مرة واحدة ولمدة يوم واحد وعاد فى الليل إلى طنطا .

بدأت بزيارة طنطا واجتمعت مع ممثلى الشعب فى طنطا ومراكزها ، واجتمعت مع الكهنة ، ثم مع المجلس الملى فى الغربية ، ثم التقيت بجميع الخدام والخادمات والشمامسة ، والتقيت مع الأطباء والمحامين والمحاسبين والشخصيات القبطية فى الغربية ، وفى كل هذه الاجتماعات كنت أستطلع الآراء . واتفق الجميع على اختيار الأسقف الجديد .. وذهبت إلى البحيرة وفعلت نفس الشىء واختار شعب البحيرة .. ولكن البطاركة السابقين كانوا

يعتبرون تدخل الشعب فى شئون الكنيسة إقلالا من سلطتهم ، وكان البابا وات السابقون ينفردون باختيار الأساقفة والمطارنة .. ولكنى وضعت تقليدا جديدا فى الاحتفال برسامة الأسقفين الجديدين .. حضر الاحتفال شعب الغربية والبحيرة ووقفت أنا أمام الناس وقلت : كهنة البحيرة كلهم يقفون هنا ، وكهنة الغربية يقفون هنا ، وناديت : يا شعب الغربية وكل مراكزها ومدنها وقراها أمامكم القمص شنودة السريانى المرشح أسقفا لكم ، هل توافقون .. ؟ فقال الجميع بصوت عال : نوافق .. وفعلت نفس الشىء مع القمص انطونيوس السريانى المرشح أسقفا للبحيرة ، وقلت للجميع : هل فيكم واحد يعترض على المرشحين ؟ ..فلم يعترض أحد وأعلنوا تأييدهم للترشيح .. وكان هذا شيئا جديدا على الكنيسة لم يعجب البعض وظنوا أن فيه انتقاصا لسلطة البابا فى الكنسية .. واستغل البعض ذلك لترديد أقاويل سيئة ولكن مع الوقت تفهم الجميع ما أقصده واعتبروه تقليدا حسنا يضمن التحام الشعب بالكنسية ..

بعد ذلك طلبت من الأسقفين الجديدين أن يقفا ويعلنا التعهد علنا أمام البابا وأمام الشعب بأن يؤديا واجبات الرعاية كاملة .. وكان هذا أيضا تقليدا جديدا لم تشهده الكنيسة من قبل ..

هل فى ذلك ديمقراطية الكنيسة أو لا .. ؟

هكذا تساءل البابا شنودة وهو يبتسم .

□□□

ثم قال البابا بعد لحظة صمت قصيرة :

أكثر من هذا .. توسعت فى إعطاء الشعب صلاحيات اختيار القسس قبل رسامتهم ..

قبل ذلك كان القسيس الجديد يرسم بإرادة الأسقف أو البطريرك فقط ، واحيانا بناء على تزكية يوقع عليها البعض خجلا ، أو خوفا ، أو مجاملة ، أو جهلا ، أو بلا مبالاة .. فبدأت تقليدا جديدا هو أن أجمع الشعب القبطى فى البطريركية وأوزع على الجميع أوراقا ويتم اختيار الكاهن بناء على فرز الأصوات ..

هل هذه ديمقراطية أو هى ضد الديمقراطية .. ؟

□□□

وقال البابا :

كان بعض الكهنة فى الماضى فى مستوى علمى أقل من الشعب ، فقررت أن يكون الكاهن على مستوى علمى لا يقل عن الليسانس أو البكالوريوس ، واحيانا الماجستير والدكتوراه ، وبذلك ارتفع المستوى العلمى للكهنة ، وارتفع مستوى الكهنوت عموما .. هل يحسب ذلك ضمن الحسنات أو يحسب من السيئات .. ؟

وفى زمن مضى كان الكهنوت بالوراثة .. الآن ليست هناك وراثة .. إلا فى بعض مواقف انسانية خاصة .. مثلا عندما كنت أسقفا لكلية اللاهوت كان فيها طالب هو الأول دائما ، وكان نابغة بحق ، وكنت أريده ليكون معيدا بالكلية ، وكان هذا الطالب من إحدى قرى بنى سويف ووالده كان كاهنا وتوفى ، وأراد مطران بنى سويف أن يرسمه قسيسا خلفا لوالده ، وكنت أرى أن انضمامه لهيئة التدريس فى الكلية أفضل ، ولكن والدته قالت لى : لا تحرمنا من أن يكون ابنى استمرارا لآبائه فى الكهنوت .. فهو رقم ٣٨ فى سلسلة كهنوت متتالية لمدة قرون ولا أريد أن تنقطع ..

ونزلت على رغبة الأم والابن والمطران .. ليس للإبقاء على الوراثة .. ولكن لأن هذا الابن كان مؤهلا ليكون قسيسا صالحا كما كان مؤهلا ليكون أستاذا صالحا فى كلية اللاهوت ..

هل انتهاء عصر وراثة الكهنوت يحسب لنا أو علينا .. ؟

هكذا تساءل البابا شنودة ..

□□□

وقال بعد ذلك :

وهناك من يقول : إن التوسع فى كليات اللاهوت ليس صوابا ..

كانت هناك كلية واحدة للاهوت فى القاهرة ، بدأنا إنشاء فروع لها فأصبح لها سبعة فروع فى الاسكندرية ، وطنطا ، وشبين الكوم ، والمنيا ، ودير المحرق بأسيوط ، والبلينا ، وأدخلنا فى الكلية الإكليريكية نظاما جديدا ..أنشأنا فيها القسم المسائى ويدرس فيه الطلبة ثلاثة أيام فى الأسبوع لإتاحة الفرصة للموظفين وخريجى الجامعات .. وسمحنا للفتيات بالالتحاق بكلية اللاهوت وأصبحت واحدة من الخريجات أستاذة بالكلية الآن .. لأنى أرى أن الاهتمام بالثقافة الدينية للمرأة هو البداية الصحيحة لتكوين الأسرة المتدينة والمجتمع المتدين .. هل هناك من يعارض فى ذلك .. ؟

□□□

وقال البابا :

هناك شىء جديد بدأته عندما كنت أسقفا سنة ١٩٦٢ هو أنى سمحت للشعب أن يحضر محاضراتى فى كلية اللاهوت .. فلما ازداد عدد الحاضرين

نقلنا المحاضرات من المدرج إلى قاعة واسعة من دورين . فلما ضاقت بهم نقلنا المحاضرات إلى الكاتدرائية ..

وحاليا يجتمع آلاف فى الكاتدرائية مساء كل يوم أربعاء ، حيث ألقى حديثا أسبوعيا وأجيب عن أسئلة الناس .. وأتحدث فى هذه اللقاءات بلغة سهلة وبسيطة ، لأنى أرى أن الوعظ رسالة روحية تهدف إلى قيادة الناس إلى الإيمان والفضيلة ، والوعظ عندى ليس مجالا لاستعراض المقدرة اللغوية ، وإظهار البلاغة ، ولكن المهم هو التأثير والإقناع ..

وعندما تم اختيارى لمنصب البابا كانت أول ورقة وصلتنى يقول فيها صاحبها : إننا نأسف لاختيارك بابا لأن ذلك سيحرمنا من هذه المحاضرات واللقاءات لأن مسئولياتك سوف تشغلك .. فقلت لهم : لا تأسفوا لأنى سوف أستمر فى هذه اللقاءات .. ومازلت مواظبا على لقاء الأربعاء ٢٦ عاما لم أتخلف إلا حين أكون خارج البلاد .

من حصيلة هذه اللقاءات أصدرت ١٠٠ كتاب تقريبا . ترجم بعضها إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والهولندية لكى تصل إلى أبنائنا من الجيلين الثانى والثالث من المهاجرين .

بعد ذلك أصبحت هذه المحاضرات تطبع على شرائط كاسيت وفيديو وهى بالملات .. خصوصا أنى ألقى محاضرة فى الاسكندرية أيضا كل أسبوعين .

وحين كان الأستاذ مصطفى بهجت بدوى رئيسا لتحرير الجمهورية دعانى لكتابة مقال أسبوعى سنة ١٩٧٢ وانتظمت فيه لفترة .. وكنت أراعى أن يكون موضوعه عامًّا ليقرأه القراء جميعا ..

□□□

قلت : أذكر أنكم أعلنتم عن إعداد دائرة المعارف القبطية وإنشاء عدد من المعاهد القبطية المتخصصة ..

قال :

دائرة المعارف القبطية صدرت سنة ١٩٩١ من ٨ أجزاء ، والمعاهد المتخصصة التى تم افتتاحها حتى الآن تشمل معهد الكتاب المقدس ، ومعهد الرعاية ، ومعهد اللغة القبطية ، ومعهد الأفريقيين ، وزاد الاهتمام بمعهد الدراسات القبطية ، ومعهد إعداد مرتلى الكنيسة . الخ . ونحن نهتم اهتماما خاصا بالشباب والمرأة .. ونهتم بخدمة المصابين بأمراض مستعصية والذين ليس لهم أحد يرعاهم .. ونهتم بتنظيم الأسرة .

□□□

ما سر اهتمامك بالأديرة اهتماما يفوق الوصف حتى قيل : إن الكنيسة أنفقت عشرات الملايين على الأديرة .. ؟

يقول البابا شنودة :

أنا أحب حياة الدير .. حين دخلت الدير وودعت الدنيا كان هدفى أن أعيش فى حياة الوحدة فى هدوء روحى مع الله .. ولم يخطر ببالى أننى سأعود إلى هذا العالم ثانية بعد أن تركته وذهبت إلى مغارة فى الجبل تبعد عن الدير ١٠ كيلو مترات وكانت تمر علىَّ أسابيع لا أرى فيها انسانا .. وكانت هذه أجمل فترات حياتى ..

لكن السعادة الروحية فى حياة الهدوء مع الله لم تعد كاملة بعد أن أخذونى ورسمونى أسقفا فتغير مجرى حياتى من حياة التأمل إلى حياة الخدمة ،

ومن هدوء الوحدة إلى زحام الناس ، وبقيت محبة الدير فى قلبى ، ولذلك أحرص على قضاء نصف الأسبوع فى الدير ونصفه مع الناس .

لذلك أنا مهتم بتعمير كل الأديرة ليس فقط من الناحية المعمارية ولكن من الناحية الروحية والثقافية للرهبان أنفسهم .. وأى انسان زار هذه الأديرة قبل أن تمتد إليها يد العمران وبعدها يجد الفارق واضحا سواء من ناحية الرهبان وعددهم ومستواهم ، أو من ناحية المبانى للرهبان والزوار ، وما حدث من تطور فى الأديرة يحتاج إلى مجلدات . فى داخل مصر أنشأنا أديرة فى أدفو وجنوب أرمنت وجبل أخميم وبرارى بلقاس والخطاطبة .. وفى الخارج لنا الآن أديرة فى كاليفورنيا وسيدنى ، وملبورن ، وكريفلباخ بألمانيا ، وهوكستر بألمانيا ، وميلانو فى إيطاليا ، وفرنسا ، وكينيا ، ومنطقة ماسينو عند خط الاستواء ، وفى السودان ، وهناك أديرة أخرى تحت الإنشاء .

وتطور اهتمامى بالأديرة بعقد مؤتمر الرهبنة الأرثوذكسى سنة ١٩٧٩ وكان هذا أول مؤتمر للرهبنة يعقد فى مصر فى الكنيسة المصرية التى أسست الرهبنة فى العالم كله ، وحضر هذا المؤتمر ممثلون لكنائس ١٦ دولة . وقبل ذلك بدأت الاهتمام بالكنائس الأثرية بتشكيل لجنة بابوية عليا للحفاظ على التراث القبطى سنة ١٩٧١ ولجنة بابوية للاهتمام بالآثار القبطية سنة ١٩٧٢ وشاركت هذه اللجنة فى الإشراف على تعمير الأديرة ، وبدأت الاهتمام بالآثار المسيحية ،والكنائس الأثرية ، وترميم الكنائس المهدمة ، والاهتمام بالمناسبات الخاصة بالكنيسة مثل يوم دخول المسيح والعائلة المقدسة مصر فى ٢٤ من شهر بشنس .. والمناسبات كثيرة ..

□□□

نعود إلى الأديرة وحياة الخلوة الروحية ..

ويقول البابا :

الجديد الآن فى الأديرة أنها لم تعد للرهبان وحدهم .. ولكن كل إنسان يستطيع أن يقضى فترة فى الدير .. أنشأنا بيوت الضيافة يرتادها الشباب الذى يسعى إلى قضاء فترة من الهدوء الروحى تحت إشراف الرهبان .. وأصبحت الأديرة مواقع إنتاج زراعى وصناعى فى مجالات كثيرة يشارك فيها الرهبان .. وأصبحت الأديرة أيضا مواقع سياحية يزورها عشرات الآلاف من الأجانب الذين يحبون قضاء وقت فيها ويعرفون قيمتها الأثرية والتاريخية .. وأصبحت مكتبات الأديرة فيها آلاف الكتب القديمة والحديثة وبلغات عديدة ..

□□□

وقال البابا :

وشىء آخر أركز عليه هو تنقية المناسبات الدينية والموالد من الممارسات الخطأ .. وكانت منتشرة . كانت الموالد مجالا للهو .. ووجدت أن زحام المولد فى الأصل هو تجمع للاحتفال بمناسبة دينية أو لإحياء ذكرى قديس ، ولكنه تحول إلى ممارسات خطأ .. وكان هناك من طلب منى إلغاء هذه الموالد ، فقلت : ولماذا لا نحوّل هذه التجمعات إلى مناسبات روحية مفيدة ونعيد إليها الجلال والاحترام والروحانية .. ؟ ولماذا لا نحرم الأشرار من الإساءة إلى هذه المناسبات الجليلة .. ؟ وهكذا حولنا الموالد إلى تجمعات شعبية يلتقى فيها الأقباط للاستماع إلى دروس وعظات روحية ، ويعيشون ساعات مع التراتيل والتسابيح .. وهكذا أعدنا إلى أعياد القديسين الاحترام الذى يليق بها .

وقال البابا :

هناك فارق كبير بين التدين الحقيقى والتدين الزائف .. التدين الزائف يهتم فقط بالمظهر .. التدين الحقيقى يهتم بالروح والجوهر .. التدين الزائف هو وسيلة الدجالين والمشعوذين والفاسدين .. والتدين الحقيقى هو وسيلة أصحاب القلوب النقية والأرواح الطاهرة .. واجبنا أن نجعل الناس يرتبطون بالتدين الحقيقى ويبتعدون عن المزيف بكل صوره وأشكاله .. وهذه معركة مع الشر والأشرار ليست سهلة .

□□□

ويجيب البابا شنودة عن أسئلة صريحة جدا مثل :

هل صحيح ما يقال من أن مدارس الأحد هى بؤرة التعصب .. ؟

فيقول :

مدارس الأحد مهمتها تربية الأولاد تربية دينية ؛ وقد أنشئت حين بدأت الطوائف الأجنبية تدخل مصر وتجذب أبناء الكنيسة الوطنية إلى مذاهب ، فكان لابد أن نعنى بأبنائنا حتى لا يضيعوا ..

هل صحيح أن كل نشاط للأقباط لابد أن يبدأ بإذن وتوجيه من البابا ولا يستطيع الأقباط أن يعملوا وحدهم .. ؟

ويجيب البابا :

هذا غير صحيح .. الجمعيات الخيرية والمدارس أسسها أقباط دون أى تدخل من الكنيسة ..الأقباط مواطنون لهم حق المبادرة دون الرجوع للكنيسة حتى للاستشارة ..ونحن نكفل ذلك حتى للقسس والأساقفة لينشط الجميع

دون مركزية تحدُّ من هذا النشاط .. وكل من يرد أن يمارس نشاطا فليفعل دون مراجعتنا .

وهل تسمح الكنيسة بحرية الفكر .. ؟

يقول البابا :

أى فكر .. الفكر الدينى من اختصاص الكنيسة .. أما كل فكر آخر سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى فلا شأن لنا به .

قلت : يا قداسة البابا .. قضية رفض الكنيسة للطلاق أصبحت موضوعا اجتماعيا وله آثار اجتماعية خطيرة .. هل يمكن إعادة النظر فيه ؟

قال :

لو كان هذا رأيى الشخصى فأنا مستعد لإعادة النظر فيه .. ولكن ماذا أفعل وهذه قضية محسومة فى الإنجيل .. المسيحية لا تبيح الطلاق إلا فى حالة ثبوت الخيانة الزوجية .. أو فى حالة تغيير الدين .. ولا تمكن إباحة الطلاق لغير ذلك أبدا ..أنا مقيد بآيات صريحة فىالكتاب المقدس .. ماذا يمكن أن تفعل الكنيسة أمام النصوص .. ؟

قلت : ولكن الناس يخطئون .. إذا أخطأ أحد الزوجين فى اختيار شريك حياته واستحالت العشرة بينهما .. ألا يمكن معالجة هذا الخطأ أبدا .. ؟

قال : هذا وارد .. التسرع .. الزواج قبل التأكد من مشاعر القبول .. أو نشوء خلافات لأسباب مادية .. إذا كان الطلاق ممكنا فسوف يحدث الخلاف كثيرا معتمدين على إمكان الانفصال والزواج مرة أخرى ..

وكما يقول المثل : سئل حكيم لماذا يحدث الطلاق لأتفه الأسباب ؟

فقال : لأن الزواج يحدث لأتفه الأسباب ..

أما إذا عرف الزوجان أن الطلاق غير ممكن ، فلابد من التدقيق وحسن الاختيار .. وأنا لى كتاب كامل بعنوان « شريعة الزوجة الواحدة » أشرح فيه أسباب عدم إباحة الطلاق فى المسيحية .

قلت : الناس مختلفون فى الطبائع والسلوك .. ولا يظهر اختلافهم إلا بعد العشرة .. ؟

قال :

من الممكن طبعا أن يكون أحد الزوجين حاد الطبع ،وسريع الغضب ، أو يريد إرغام الآخر على الخضوع لإرادته ..تمسك الاثنين بالدين يجعلهما يحتملان مثل هذه المواقف ..

وإذا كان العيب هو سرعة الغضب فهذا سيكون سببا للطلاق فى كل مرة ، ويفشل الزواج الثانى والثالث .. نعالج الشخص المتوتر وندعو الطرف الآخر إلى احتماله إلى أن يحدث التوافق بينهما وتدوم العشرة .. ونحمى الأسرة أفضل من أن نعجّل بهدمها ..

قلت : ولكن بعض الأقباط يلجأون إلى القضاء ويحصلون فعلا على أحكام بالطلاق .. وترفض الكنيسة الاعتراف بهذا الطلاق ؟ ..

قال : هذا طلاق مدنى .. وإذا تزوج الزوجان بعده سيكون زواجا مدنيا .. لا تعترف الكنيسة بالطلاق لأنه مخالف للشريعة ، ولا تعترف بالزواج الثانى لأنه أيضا مخالف للشريعة .. ثم أقول لك .. ألا نفكر فى

مصير الأبناء وتشردهم بعد الطلاق .. ؟ ألا يستحق هؤلاء الأبناء تضحية آبائهم من أجلهم .. ؟

إن الطلاق مكروه فى كل الأديان .. والمبدأ فى الإسلام أن أبغض الحلال عند الله الطلاق ، وهذا معناه أن الله لا يحب أن يستخدم الناس هذه الوسيلة .. إذا كانت أبغض الحلال فى الإسلام فكيف يلجأ إليها الناس ولا يلجأون إلى ما يحبه الله وهو الحفاظ على الأسرة .. ؟ لذلك نحن نبذل جهدنا للإصلاح بين الزوجين بدلا من تركهما لنزوة أو انفعال ..

قلت : وماذا يفعل الزوجان حين يكون معهما حكم قضائى بالطلاق .. ؟

قال : هذا حكم بالطلاق وليس حكما بالتزويج .. حكم لا يلزم الكنيسة بعقد زواج جديد .. حكم مدنى يستند إلى لائحة الأحوال الشخصية الصادرة عام ١٩٣٨ .. والمحاكم لها الولاية فى الجانب المدنى ، والكنيسة لها الولاية فى الجانب الدينى .. ومن الناحية الدينية لا تعترف الكنيسة بهذا الطلاق ، وبالتالى لا تعقد زواجا جديدا للمطلق بحكم قضائى ..

قلت : ولكن هناك أحكام تصدر ببطلان الزواج ؟

قال : بطلان الزواج غير الطلاق .. بطلان الزواج معناه أنه قام على أسباب باطلة .. الحكم هنا بانفصال الزوجين وليس بالتطليق .. ويكون الزواج باطلا لأسباب كثيرة .. إذا تم مثلا بالقهر وبغير رضا .. أو كان أحد الزوجين مرتبطا بزيجة أخرى أخفاها ولم يفصم عراها .. أو يكون الزواج بين اثنين بينهما قرابة أو نسب مما يمنع الزواج بينهما .. أو كان أحد الزوجين قبل الزواج عاجزا عن أداء وظيفته الزوجية .. أو كان هناك

مرض خطير فى أحد الزوجين يخشى منه على الطرف الآخر .. أو كان أحد الزوجين قبل الزواج مختل العقل ..

قلت : وإذا اختل عقله بعد الزواج .. ألا يبرر ذلك الطلاق .. ؟

قال : لا .. بعد الزواج شيء آخر .. لو سمحنا بذلك فسوف يسعى من يريد الطلاق إلى الضغط على الآخر إلى أن يفقده عقله ، وتكون هذه حيلة ووسيلة غير أخلاقية للحصول على الطلاق .. !

□□□

قلت وهل صحيح ما تردد فى وقت ما من أن الكنيسة المصرية ترفض فكرة تنظيم النسل ولها فيه رأى يختلف عن الرأى السائد ؟

وجاءت إجابة قداسة البابا بسرعة وبعبارات مباشرة وحاسمة ..

بالعكس .. إن الكنيسة المصرية تحث على تنظيم الأسرة ، وقد أصبح ذلك ضرورة اقتصادية واجتماعية وقومية ، ونحن على يقين من أن زيادة السكان أصبحت عبئا على الدولة من حيث توفير المساكن والطعام وفرص العمل ، وفى البطريركية عندنا أسقفية للخدمات العامة والخدمات الاجتماعية فيها قسم للأسرة يبذل جهودا كبيرة لتنظيم الأسرة ونشر الوعى بهذه القضية فى كافة أنحاء البلاد ، لأننا نراها ضرورة لصالح الوطن .

□□□

قلت : ورأيكم فى نقل الأعضاء .. ؟

قال :

نقل الأعضاء من الموتى لإنقاذ الأحياء نوافق عليه مائة فى المائة .. لأنه إذا كان جسم الميت سيتحول إلى تراب ، وأعضاؤه سيأكلها الدود ، فمن باب أولى ينتفع بها إنسان لاستمرار حياته .

أما من جهة نقل عضو من إنسان حى فهذا نوع من التضحية .. يضحى إنسان بأحد أعضائه لأجل الآخرين .. إنسان له كليتان يمكن أن يعيش بواحدة فقط ، فإذا تبرع بإحداهما ليعيش بها إنسان مهدد بالموت فما العيب فى ذلك ؟ .. هناك تضحية الإنسان بحياته وقبوله الموت من أجل وطنه ،ويخوض المعارك ويفقد عضوا من أعضائه ويكون ذلك مصدر فخر له ولأسرته ، ويعتبر ذلك بطولة لأنه ضحى من أجل الوطن ..فلماذا نمنع التضحية لإنقاذ إنسان ؟ .. ونحن نحترم تضحية الذين يضحون بحياتهم لإنقاذ الآخرين .. جنود المطافى يتعرضون للإصابات والحريق والموت أحيانا وهم ينقذون الآخرين وهذا من باب الإيثار .. إنسان يجد إنسانا آخر على وشك الغرق فيلقى نفسه فى البحر وينقذ هذا الغريق ، ويغرق هو فنشيد بالتضحية والفداء .. لماذا نمنع التضحية والإيثار والفداء فى نقل الأعضاء .. مع أن احتمالات الخطر فيها محدودة ؟ ! ..

وأقول لك مثلا آخر .. التبرع بالدم .. الدم عضو من أعضاء الإنسان .. والذى يتبرع بكمية معينة من الدم يضعف جسمه وهذا من أجل إنقاذ إنسان آخر ..

قلت : المشكلة التى يثيرها المعترضون هى كيف يتحدد الموت ؟ ..

قال :

نقل عضو وحيد مثل القلب لابد أن يكون بعد التأكد من موت الإنسان موتا طبيعيا .. موت المخ هو الموت وليس موت القلب .. إذا مات المخ ينتهى تماما الأمل فى عودة الحياة إلى الشخص وإن كان القلب يبقى لحظات

ينبض .. وهذا النبض لا يعنى استمرار الحياة .. فالأنسجة تبقى بعد الموت لفترة .. والعين .. وهكذا ..

قلت : هناك خشية أن يتحول الأمر إلى تجارة .. ؟

قال :

هذا يمكن تنظيمه .. عنصر الرضا شرط لابد منه ..كأن يوصى إنسان بالتبرع بأعضائه بعد الموت أو يوافق ورثته على ذلك ..

ومن هنا أنشئت فى أوربا وأمريكا بنوك للأعضاء يحتفظون بها من الأشخاص المتبرعين إلى وقت الحاجة لإنقاذ إنسان يحتاج إلى عضو حيوى .. مثل نقل كبد .. أو كلى .. أو قلب .. أو عين .. وهكذا ..

ووجود قانون ينظم نقل الأعضاء .. ورقابة فنية على الأطباء .. يمكن أن يمنع وجود هذه التجارة .. التجارة مخاوف محتملة تمكن محاربتها فلا نترك إنسانا يموت ويمكن إنقاذه من أجل هذه المخاوف ..

□□□

٢٤ المسيحية السياسية

فى عام ١٩٩٤ كتب البابا شنودة مقالا فى مجلة الكرازة بعنوان « آداب الحديث والمناقشة » كان يتحدث فيه من حيث الظاهر عن السلوك الأخلاقى المسيحى فى الحوار مع الآخر ، ولكنه كان يوجه الحديث فى الحقيقة وبشكل غير مباشر إلى عدد من الكتاب ورجال الدين المسيحيين وصلوا إلى درجة من الجرأة إلى حد إعلان العصيان على سلطة البابا ، وكان هذا حدثا غريبا لم يسبق له مثيل ، حيث تقضى التقاليد والقوانين الكنسية بأن يصل الخضوع للرؤساء الدينيين إلى درجة التسليم ، وأن يكون للبابا مكان القداسة ، يتلقى منه الشعب البركة ، ويطيع دون تفكير أو مناقشة ..

كان البابا فى مقاله يخاطب هؤلاء الذين أسموا أنفسهم وأسّتهم بعض الصحف التى قامت بدور إشعال الفتيل والنفخ فى النار لتزداد اشتعالا ، وحشد فيه عبارات لها دلالات دينية وروحية يفهمها الأقباط ، فقال مثلا : « إننا يجب أن نقتدى بالقديس انطونيوس الذى كان يخاطب الشياطين فيقول لهم أيها الأقوياء ماذا تريدون منى أنا الضعيف ، وأنا أضعف من أن أقاتل أصغركم » وبهذا اللطف كان يخزى كبرياءهم فينحلون كالدخان .

وبعد ذلك حدد البابا فى مقاله ٢٤ قاعدة أخلاقية مسيحية لآداب الحوار منها : إذا جلست وسط الشيوخ فلا تتكلم ، وإن سئلت عن رأيك فقل

لا أعلم . وقاعدة تقول : كن متواضعا ، وقاعدة أخرى تقول : إن كنت في حوار وأخطأ واحد فلا تكشفه ،ولا تحرجه ،ولا تتهكم عليه ، وقاعدة تقول : في حديثك مع الناس لا تضغط عليهم في معرفة أسرارهم وأسرار غيرهم .. وقاعدة تقول : لا تصدر أحكاما بسرعة بدون فحص .

وفي مقال آخر في نفس العدد من مجلة « الكرازة » : « أن الراهب الكثير الكلام يدل على أنه فارغ من الداخل . إن الكلام يعطل الصلاة . كان الرهبان بصمتهم يتعلمون الكلام . إنها خسارة كبيرة أن راهبا بدلا من أن يقول كلمة فيها منفعة يقول كلامًا تكون فيه عثرة لغيره ..

وفي مقال في نفس العدد : « لا شك في أن الصحافيين والكتاب الأقباط الذين يهاجمون رجال الكهنوت لهم اتجاه بروتستنتي ، شعروا بذلك أو لم يشعروا . إن الأرثوذكسي الصميم الذي ينادي نيافة الأسقف أو المطران بعبارة « سيدنا » ويسجد عند قدميه ، ويقبل يده ، ويطلب بركته ودعاءه ، ويرتل له الألحان في استقباله عندما يدخل إلى الكنيسة ، هذا لا يمكن أن يشهر بأحد أحبار الكنيسة أو يهينه أو يسيء إلى سمعته .. والأرثوذكسي الصميم إذا شعر بأن أحد رجال الكهنوت غير راض عليه لا يستطيع أن ينام ليله براحة ..

في نفس العدد أيضا مقال بعنوان .. « خطية العربة المرسيدس » يقول المقال : مع الأسف انتقد بعض أبناء الكنيسة أن يركب الأسقف عربة مرسيدس كما لو أن هذا نوع من الرفاهية ، بينما يعرف الجميع أن العربة أصبحت جوهرية حتى بالنسبة إلى القسيس اتقاء للزفة التي يمكن أن يزفه بها بعض الصبية في الشوارع . إن الأسقف يحتاج إلى عربة قوية تحتمل

أسفاره الكثيرة ، فبدلا من أن يشكر الأسقف على كثرة تعبه وأسفاره يوجه إليه اللوم أنه يركب عربة قوية . ثم أن كل الآباء الذين يركبون عربة مرسيدس جاءتهم العربة هدية من أبنائهم المحبين ، أما المنتقدون فلا هم ساهموا فى ثمن عربة لأحد آبائهم ، ولا هم سكتوا على تبرع يأتيه من غيرهم .

فى عدد واحد كتب البابا هذه المقالات ، وهذه العبارات ، ومعروف طبعا مدى ارتباط البابا شنودة بالصحافة وحبه لها وممارسته للعمل الصحفى ، إلى حد أنه رئيس تحرير مجلة « الكرازة » التى يصدرها عن الكنيسة وينشر فيها آراءه وأفكاره وأخبار ونشاط الكنيسة ، ويقوم بنفسه بكتابة واختيار المقالات والأخبار والصور ، ويضع العناوين ، وقبل الطبع ينزل بنفسه إلى المطبعة الملحقة بمقر إقامته ليتابع تنفيذ الصفحات ..وهكذا . ومعلوم طبعا أن البابا عضو عامل فى نقابة الصحفيين ، وله مئات المقالات المنشورة فى الصحف والمجلات على مدى ٢٦ عاما ..

ما الذى دعا البابا إلى إصدار هذا العدد الخاص وما تلاه من أعداد ومقالات فى نفس الاتجاه .. ؟

□□□

كان البابا يواجه تيارا ظهر بين بعض المثقفين ورجال الدين الأقباط سموا أنفسهم « المعارضة » ووجدوا صحفا ترحب بنشر آرائهم التى تجاوزت الحدود ، وتجاوزت تقاليد الأقباط فى مخاطبة الكهنة والرهبان ، وشجعت هذه الصحف على بلورة هذا التيار ..

فالدكتور يونان لبيب رزق أستاذ التاريخ الحديث المعروف كتب يقول : « إن البابا ظاهرة أدت إلى تموها أمور عدة : مثل الدعوة إلى تطبيق الشريعة

الإسلامية ، وانفجار أحداث العنف على أساس دينى ، وزيادة دعم أقباط المهجر » .

وظهر القس إبراهيم عبد السيد لينشر كتبا ومنشورات ومقالات أقل ما توصف به هو الوصف الذى اختاره عنوانا لأحد كتبه وهو : « المعارضة من أجل الإصلاح الكنسى » وله كتب أخرى عناوينها تدل على طبيعة هذا التيار الغريب مثل : « المحاكمات الكنسية » و « أموال الكنيسة من أين ؟ وإلى أين ؟ » .

ودارت كتابات هذا التيار حول ضرورة تحديث نظام الكنيسة لتساير التغيرات فى العصر الحديث وعدم صلاحية نظم يرجع عمرها إلى مئات السنين ..وضرورة وضع ضوابط وإعلان إيرادات ومصروفات وموازنة الكنيسة وتحديد الحدود الفاصلة بين أموال الكنيسة والأموال الخاصة بالأسقف ، وتحريم التعامل باسم الأسقف فى المعاملات المالية ، وإعادة تنظيم إجراءات المحاكمة الكنسية وتوفير ضمانات الدفاع والحياد فى تشكيل هذه المحاكم .

بينما دار رد البابا شنودة على أن هناك .. « اتجاهات بروتستانتية » وأن الكنيسة الأرثوذكسية تواجه حملة من الكنيسة الأمريكية ، وأعلن البابا أن كل المحاكمات التى تمت لبعض القسس كانت موضوعية وعادلة ، وأن البابا لا يمكن أن يحارب شخصا من شعبه ولكنه يحارب فكرا ، وأنه من الطبيعى أن يحاسب من يخطئ ، وسوف يلومه الشعب القبطى إذا وجدوا منه تهاونا فى محاكمة المخطئين .

فى مقالات أخرى قال بعض الكتاب الأقباط : إن هذه الحملة وراءها دوافع بعيدة ربما لا يفطن من يخوضها إلى أبعادها الحقيقية ، وهى موقف

البابا من اليهود عموما ، ومن إسرائيل خصوصا ، وقراره بمنع الأقباط المصريين من زيارة القدس وهى تحت الاحتلال الإسرائيلى .

أثار البعض أيامها تساؤلاً : لماذا نشرت الكنيسة إعلانا مدفوعا فى « الأهرام » عن تجريد الراهب دانيال البراموسى وهو قرار لا يهم أحدا غير الأقباط ..

وأثار الدكتور ميلاد حنا دوامات عديدة فى هذا النهر الجديد .

والدكتور ميلاد حنا أستاذ الهندسة ، والمفكر المعروف ، والشخصية العامة برصيدها السياسى فى أكثر من حزب وأكثر من موقع ، له ثقل وتأثير .. وإضافة إلى ذلك له تاريخ فى العمل الكنسى يسمح له بمعرفة الكثير والتحدث من موقع العليم ببواطن الأمور ، وهذا ما جعل موقفه أكثر تأثيرًا .. فهو – كما قال – مر بأربع مراحل خلال حياته العامة . أولا نشأ نشأة دينية . فكان شماسا فى كنيسة العذراء بشبرا . وكان جده رئيس لجنة الكنيسة ، ثم أصبح الدكتور ميلاد مسئولا عن مدارس الأحد فى نصف جزيرة بدران ، بينما كان البابا شنودة قبل أن يدخل سلك الرهبنة – مسئولا عن النصف الآخر من هذه المنطقة ، ومن هنا نشأت علاقة خاصة ومتميزة بينهما ، ولكنه تفرغ لمستقبله العلمى بينما انخرط البابا شنودة فى الكهنوت . أما المرحلة الثالثة للدكتور ميلاد – كما قال – فقد استمرت ٣٠ عاما وهى مرحلة العلم والعلمانية والاشتراكية ، ثم المرحلة الأخيرة بعد أن اعتقله الرئيس السادات عام ١٩٨٠ فصار فى موقف متعاطف مع قضايا الأقباط .. ولم يذكر الدكتور ميلاد أنه مر بمرحلة خامسة وهى كتابة مقالات فى نقد البابا شنودة ، ثم مرحلة سادسة دعا فيها كل الأقباط إلى الالتفاف حول البابا شنودة باعتباره الرمز لسلطة الكنيسة الروحية والقيادة للأقباط

فى المرحلة الرابعة قال الدكتور ميلاد حنا إنه وجد أن البابا يرغب فى الانفراد وحده بالمكانة دون أى زعيم آخر سواء بين المدنيين أو الإكليروس ، وأبدى هذا لى بوضوح ، وهذا مالا يعجبنى ولا يتفق مع تركيبتى الشخصية ، فآثرت الابتعاد عنه ، وقررت أن أكون شخصية عامة . فهو يرفض أن يتحدث أى شخص آخر عن قضايا الأقباط ، ويعتبر هذا خروجا عن طوع الكنيسة بالمعنى الدينى ، إنه لا يملك روحا رياضية فى الصراع ، وكنت أتمنى أن يتعاون معى ويقبلنى كشخصية عامة .. ولو كنت بجانبه كنت سأكون سندا له ، معاونا ، أحوِّل الأزمة الطائفية إلى علاقات وطنية ، أحوِّل ثمرات الليمون المتناثرة إلى « ليمونادة » فذلك هو شعار كل حياتى وما أقوله فى كل كتاباتى .

وقال الدكتور ميلاد حنا أيضا : إنه لا توجد قنوات ديمقراطية داخل البنية التنظيمية للكنيسة ، وماساعد على تفاقم المشكلة أن هناك أوضاعا اقتصادية وسياسية ودينية تغيرت فى المجتمع والدولة ، فقد هاجر آلاف الأقباط إلى خارج مصر ، وتوسع نشاط الكنائس القبطية فى المهجر من كندا وأمريكا إلى استراليا واريتريا وكينيا وجنوب أفريقيا ، ولهذه المجموعات تطلعات ديمقراطية ، وفى حين صار للكنيسة تنظيم عالمى لم يزل التنظيم الداخلى للكنيسة المركزية كما هو ، كل شىء يجب أن يمر من خلال البابا ، وهكذا هناك تناقض بين الداخل المحدود والخارج المتفتح . فضلا عن ذلك هناك شرخ بين أجيال الكنيسة ، إذ أبعد المطارنة القدامى إلى أبرشيات ، وحل مكانهم أساقفة شباب ، وزاد عدد أعضاء المجمع المقدس إلى ٦٠ بدلا من ٢٥ ، ومعظم أعضائه من أبناء البابا شنودة ،

فغضب « الحرس القديم » وخلق هذا فجوة بين مدارس فكرية متباينة حول طريقة إدارة الكنيسة وعلاقتها مع الدولة . ومن مصلحة الدولة أن تبقى الأوضاع مستقرة داخل الكنيسة ، لأن استقرار الكنيسة من استقرار الدولة .

وقال الدكتور ميلاد حنا عبارته التى أثارت الكثيرين : « الشعب القبطى فى جيب البابا ، والبابا فى جيب الدولة » . وقال أيضا إن البابا ليس شخصية مرنة ، ولن يتغير شىء . وهناك أزمات أخرى مقبلة مؤكدة ، والذى أحاوله الآن مع آخرين هو دفع البابا إلى إجراء عملية إصلاح كنسى ، وهى مسألة ليست سهلة .

ولم يكن الدكتور ميلاد حنا وحده .

ولكن هذا التيار كله كان يمثل قلة .

أما الأقباط فى مصر فظلوا على حبهم وولائهم للبابا ، يقبّلون يده ، ويسجدون عند قدميه ، ويلتمسون منه الصلوات والبركة وظل حديث البابا هو المسموع وأمره هو المطاع .

فماذا قال البابا نفسه عن كل ذلك .. ؟

قال :

خلال العشرين سنة من ١٩٧٠ حتى ١٩٩٠ لم يحدث أى نقاش حول الأمور الكنسية ، ولكن بدأت القضايا الداخلية للكنيسة المصرية تتحول إلى مادة إعلامية حتى فى المسائل العقيدية والتنظيمية ، حين أفسحت بعض دور الصحف صفحاتها لقلة من الناس لا يمثلون الكنيسة فى شىء ، فألقى

هؤلاء بمواد لتلك الصحف التى رأت فى نشر مثل هذه المواضيع رواجا للصحيفة وانتشارا للتوزيع . وهنا بدأت المشاكل .

وقال :

الذين يطالبون بالإصلاح فى الكنيسة لم يقولوا شيئا عما يقصدونه بالإصلاح ، وعبارة « إصلاح » مبهمة جدا ، لم يقولوا ما هو الشيء الذى يريدون إصلاحه ؟ ولم يقولوا ما هو منهج الإصلاح ؟ ولم يحددوا النقاط التى يوجد فيها خلل وتحتاج إلى إصلاح .. والحقيقة التى يعرفها الأقباط فى مصر وخارجها هى أن الكنيسة سارت خطوات واسعة جدا إلى الأمام ، وحققت إنجازات كثيرة يصعب حصرها . هناك رسالة للدكتوراه تناولت إنجازات الكنيسة فى ٢٦ عاما تفرغ لها أحد الباحثين الجادين ، فجاءت رسالته فى ثلاثة آلاف صفحة وقال : إنه لم يستطع أن يحصر كل شيء ، وطالب فى نهاية بحثه بإنشاء مركز وثائقى لجمع الأعمال وتسجيل الإنجازات فى الداخل والخارج .. ولذلك فأنا أشعر بمدى حزن الأقباط لما ينشر فى بعض الصحف ومدى سخطهم عليه ، وهم طبعا يقرأون مايكتب لأنهم يريدون أن يعرفوا مايقوله عنى الآخرون بإنصاف أو افتراء .. صدقا أو كذبا .. وأنا التقى كل يوم أربعاء مع مجمع الأقباط فى الكاتدرائية ويعبرون عن رفضهم لما ينشر ، وتأتى وفود من أبرشيات لتعلن هذا الرفض ، ومطران إحدى المحافظات جاء ومعه ١٥٠ من الآباء الكهنة ليعلنوا سخطهم على كل هذا الذى ينشر ، ووردت إلىّ برقيات لاحصر لها تستنكر ماينشر .

ويقول البابا :

ما هو الإصلاح الذى يريدونه ؟ .. هل يعلمون أن عدد الرهبان تضاعف

عدة مرات من نوعية ممتازة من ناحية الثقافة الروحية ؟ وهل يعلمون كم زاد عدد الكنائس والأديرة وزاد النشاط والعمران فيها ؟ لقد رسمت حوالى ٣٠٠ كاهن فى القاهرة والإسكندرية والمهجر ، و٧٥ أسقفا تقريبا ، وهذا أمر لم يحدث من قبل ، وهل يعلمون حقيقة النهضة التعليمية فى الكنيسة التى أهتم بها كثيرا لأنى كنت أسقف التعليم قبل أن أكون بطريركا ؟

وهل يعلمون أننا أصدرنا ١٠٠ كتاب فى النواحى الروحانية والعقيدية ، وبعد أن كان عندنا كلية واحدة للاهوت أصبح لدينا سبع كليات ومعاهد أخرى فى بعض الأبرشيات ، وكليتان فى امريكا ، وكلية فى أستراليا ، وبعد أن كان لنا سبع كنائس فى الخارج أصبحت لنا ١٤٠ كنيسة وأكثر .

وقال :

أنا أرحب بالحوار ، ولكن هل من المصلحة أن يكون الحوار فى شئون الكنيسة الداخلية فى الصحف ؟ .. الكنيسة أسرة لها خصوصياتها التى لا يصح أن تنشر على الملأ .. والحوار لابد أن يكون فى جو من الحب والرغبة فى التعاون .. فهل ماينشر حوار أو تشهير ؟

وقال البابا :

هل يعرف هؤلاء الذين ينادون بالحوار أنى أدخلت تقليدا جديدا منذ سنوات .. فى كل اجتماع لى سواء الاجتماع العام الأسبوعى فى الكاتدرائية أو الاجتماعات التى أعقدها لكل الأقباط فى الإسكندرية كل أسبوعين أتلقى أسئلة فى نواح دينية ، أو حتى نواح شخصية وأمور عائلية ، ويسود الجو نفسه فى لقاءاتى مع الآباء الكهنة ، وحين أختار كاهنا جديدا أعقد اجتماعا مع شعب الكنيسة وأستمع إلى رأيهم فيه وأوزع عليهم أوراقا وكل شخص يذكر بصراحة وسرية مايريد أن يقوله من ملاحظات .

وقال البابا :

أنا أرد على كل سؤال .. وأقدم بيانات وإيضاحات لكل من يريد .. دون أن نناقش الأمور الداخلية على صفحات الجرائد أو نترك أمور الكنيسة لغير المتخصصين ، فليس كل قبطى قادرا على مناقشة قوانين وأنظمة الكنيسة لمجرد أنه قبطى ، ولكن لابد أن يدرس ويعرف دقائق وتفاصيل وتاريخ هذه القوانين والأنظمة قبل أن يسارع فى الحكم عليها .

وقال :

الذين يقولون : إنهم يمثلون المعارضة فى الكنيسة يقولون : إنه ليس هناك بشر معصوم من الخطأ ، وهذا صحيح ، لماذا إذن يعارضون إذا أخطأ أحد الآباء الكهنة وقدم إلى المجلس الاكليركى فحكم عليه المجلس بالإيقاف بالوقائع .. هل هؤلاء سلطة فوق سلطة الكنيسة .. أو هم أكثر علما ودراية بالوقائع التى بحثها وحقق فيها المجلس الإكليركى .. أوهم أكثر أهلية للثقة من المجلس الاكليركى .. ؟

وقال البابا :

هل تعرف مم يتكون المجلس الاكليركى .. ؟ إنه يتكون من أربعة أعضاء من كبار الكهنة المعروفين ، يعتبرون جزءا من المجلس الملى العام ، يرشحهم البابا ، ويصدر بهم قرار من المجلس الملى ، ويرأسهم البطريرك أو من ينيبه عنه ، وهذه محكمة رسمية لها طابع كنسى ، وفى الوقت نفسه لها طابع قانونى – لأن المجلس الملى مشكل بقانون من قوانين الدولة ، وهذا القانون يحدد تكوين المجلس الاكليركى .. وهذا المجلس ينظر قضايا تحال إليه ويحقق فيها ويعطى الفرصة لكل من يوجه إليه الاتهام لكى يقول ما عنده ، وأحيانا

كثيرة يعترف الشخص بالتهمة الموجهة إليه ويطلب السماح ، ويتعهد بأنه لو رجع يستحق العقاب ، وفى هذه الحالة للمجلس الاكليركى أن يحكم بالوقف بدلا من الشطب ، ويخفف الحكم ..

ويقول البابا :

هذه كلها أمور كنسية .. أمور داخلية .. لم يحدث أبدا أن كانت مادة للنشر فى الصحف إلا فى هذه الأيام .. نحن نحرص على أن تتم فى سرية ولا نسمح بنشر اتهامات ولا أسباب الحكم حرصا على كرامة الذين يقفون أمام المجلس الاكليركى ، ولا نعرف كيف يمكن أن يسمح البعض لنفسه أن يجعل أمور الكنيسة مضغة فى الأفواه ، ولا كيف يصدر هو الحكم بالبراءة ويدين الذين حاكموا وحكموا واستمعوا وناقشوا وعلموا ما لا يعلم .. ؟ هل يريدون أن يجعلونا نفتح الملفات وننشر نحن أيضا .. ؟

يقول البابا :

الذين يكتبون وينشرون لا يعرفون الفرق بين الراهب والكاهن . فالرهبان لهم محكمة خاصة أخرى غير المجلس الاكليركى ، الرهبان لهم لجنة مجمعية مكونة من جميع رؤساء الأديرة القبطية لتنظر فى أمرهم ..

وقال البابا : إجابة عن سؤال عن السبب .. وهل الرفض لزيارة الأقباط إلى إسرائيل له دخل فى الموضوع ؟ :

لا أحب أن أبحث فى أمور ليست من اختصاصى ، ولكن جاءنى من يطلب إلغاء منع الأقباط من السفر إلى القدس لأن شركات السياحة الإسرائيلية فقدت بذلك مصدرا كبيرا للربح ، ومرة أخرى جاءنى رجل من فلسطين

وقال لى : إن لديه مشروعا هو أن تدخل الكنيسة شريكا فى مصنع لتعبئة زجاجات مياه نهر الأردن حيث تعمد السيد المسيح على يد يوحنا المعمدان فى هذا النهر . ويتهافت المسيحيون على هذا الماء .. فقلت للرجل إن عندى مشروعا آخر ، فالسيد المسيح عاش سنوات فى مصر هو والعائلة المقدسة ، وطبعا شرب من مياه النيل ، وتقدس بشربه منه ، كما تقدس بغطسه .. فلماذا لا نقيم المشروع على ضفاف النيل ونعبئ مياه النيل المقدسة فى زجاجات ؟ .. وانصرف الرجل ..

وقال البابا شنودة :

أنا دائما أحذر .. أن الهجوم على رجال الدين أيا كانوا ، وجعلهم مادة صحفية لابد أن يؤثر على القيم وعلى الوطن ، وسيؤثر على موقع القيادة الروحية ذاتها وليس على أشخاص القادة الروحيين فقط ، ولذلك أقول : هذا موضوع حساس ، وأقول : إن الذين يسارعون بالنشر لا يحققون ولا يدققون .. إنهم ينشرون اتهامات وانتقادات دون تحقيق .. ثم يقولون : لكم حق الرد .. فهل أرد ثم يأتى رد على الرد وندخل فى دوامة جدل عقيم ؟ ..وهل هذا يليق بنا ؟ .. وإذا سكتنا يقولون : سكتوا لأنهم ليس لديهم ما يقولونه .. ولكن أقول عبارة واحدة : هل من الصالح العام أن يكون رجال الدين مادة صحفية ؟ .. وهل الحملات الصحفية هى وسيلة تعامل أبناء الدين الواحد مع قياداتهم الروحية .. ؟

وقال البابا :

اسأل الذين يتحدثون عن شئون الكنيسة ما هو دوركم فى الكنيسة وستجدهم بعيدين عنها .. أقول لهم تعالوا واعملوا مع العاملين واخدموا مع من يخدمون ولا تختاروا هذا الدور لنشر الشك واليأس بين إخوانكم ..

تعالوا وقولوا ما شئتم داخل الكنيسة وليس خارجها .. أقول لهم لماذا تختارون لأنفسكم دور الهدم ولا تختارون دور البناء .. ؟

وقال البابا :

صدقنى ليست هناك معارضة .. صدقنى هذه كلها مبالغات من أفراد يسعون إلى أهداف شخصية .. وهم لا أثر ولا تأثير لهم فى المحيط القبطى .. هناك دائما من يختار لنفسه أن يقوم بدور الشرير ..

□□□

وهل هناك تيار « المسيحية السياسية » فى مواجهة « الإسلام السياسى » .. ؟

يقول البابا شنودة :

ليس هناك شىء اسمه المسيحية السياسية .. فالمسيحية ليس فيها تنظيم سياسى وليس لها دعوة سياسية ..هى دعوة روحية فى الأساس والكنيسة المصرية تاريخيا منذ إنشائها تحرص على الصلاة من أجل رئيس الدولة وقياداتها ، ونحن ندين بالولاء دائما للوطن ، وندعو فى صلواتنا أن يمد الله رئيس الدولة بروح النصر ويلهمه الحكمة والسداد .. إخلاصنا للحاكم أمر عقيدى يوصينا به الكتاب المقدس .. نحن لايمكن أن نكون معارضة للحكم .. ونحن نرفض المعارضة ونرحب بالحوار واختلاف الآراء وتعدد الاجتهادات من أجل الصالح العام .. هذا هو موقفنا الثابت وأساسه فى العقيدة وفى الكتاب المقدس .. وأرجو أن يكون ذلك واضحا ومفهوما ، والهدف الأول للكنيسة هو أن يعيش الفرد فى سلام روحى مع الله ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف لابد أن يعيش فى سلام مع الآخرين أيا كانت دياناتهم

ومذاهبهم ، لذلك لابد أن تكون هناك علاقة مباشرة بين الفرد والكنيسة وبين الكنيسة والمجتمع ، ولا يعنى ذلك أن يكون للكنيسة دور سياسى .. ليس للكنيسة دور سياسى ولكن لها دور اجتماعى .. والكنيسة تعرف الحدود بين ما هو سياسى وما هو اجتماعى ، فلا تتجاوز إلى الدور السياسى .. الكنيسة تساهم فى التنمية وتنظيم الأسرة والتدريب ، وتقدم إعانات للفقراء ، وتوفر خدمات صحية وتعليمية . فهل هذه سياسة ؟

وقال البابا :

أنا مواطن من مصر .. يخدم الله فى الناس ، ويصلى فى الكنيسة للوطن ، ويتطلع إلى السماء من أجل طلب النعمة للأرض كلها .

ثم يضيف البابا :

ليس للأقباط موقف سياسى واحد .. فهم موزعون على كل الأحزاب بنفس النسب التى يتوزع بها المسلمون .. لا فرق .. فالجميع مصريون .. والكنيسة لا تتدخل فى شئون الأقباط السياسية .. لنا موقف واحد غير قابل للمناقشة .. أرض مصر نفتديها ، أما الأحزاب والسياسة فليس للكنيسة سلطان على أبنائها فى مواقفهم واختياراتهم .. ولكن الكنيسة تحث الأقباط على ممارسة دورهم الوطنى بالمشاركة فى الاستفتاءات والانتخابات .

أما ماذا يقولون فيها فهذا متروك لضمير كل واحد فيهم مثل كل المصريين ..

□□□

قلت : تكرر الحديث عن إنشاء حزب سياسى للأقباط ما موقف الكنيسة وهل ترى أن هذه فكرة صائبة ؟

قال :

فى فبراير ١٩٨٩ ظهر إعلان فى بعض الصحف عن تأسيس حزب قبطى من مجموعة تربط معظم أفرادها صلة القرابة ، وفى الإعلان أنهم تقدموا بطلب إنشاء حزب قبطى باسم « حزب السلام الاجتماعى وصيانة الوحدة الوطنية » وكان وكيل المؤسسين يدعى هابيل توفيق سعيد ، ولم تكن هذه أول مرة فى التاريخ الحديث . فقد حدث ذلك قبيل ثورة ١٩١٩ حينما قام أخنوخ فانوس بإنشاء حزب قبطى باسم « الحزب المصرى » .

وحين نشر هذا الإعلان أعلنت رفض الفكرة رفضا باتًا .. وحين دعيت لندوة فى نقابة الصحفيين فى يونيو ١٩٩٠ قلت : إننا لانوافق على قيام حزب دينى مسيحى فى مصر .

الكنيسة لا توافق إطلاقا على إنشاء حزب سياسى مسيحى .. الأقباط باستمرار يعملون داخل الأحزاب العامة فى مصر متعاونين مع اخوتهم المسلمين فى العمل السياسى ، كما حدث فى القديم ، وكما يحدث الآن .. ولا ننسى أن مسيحيا كان مرشحا لعضوية مجلس الشعب على رأس قائمة التحالف الإسلامى ونجح .. ولا مصلحة للأقباط أن يكون لهم حزب سياسى خاص بهم ، ولا يمكن عمليا أن يكون لمثل هذا الحزب نجاح فى أية انتخابات ، فالمسيحيون لا يحبون أن يعملوا منفردين . وهم دائما جزء من نسيج المجتمع المصرى . وقيام حزب مسيحى يمكن أن ينتهى بنا إلى الفرقة وليس إلى الوحدة الوطنية . وكأنهم يجعلون من الدين حاجزا يحول دون انضمام اخوتهم المسلمين إليهم . كما سيكون لحزبهم رد فعل مضاد لا يخدم الوحدة الوطنية ولا السلام الاجتماعى .

وتسألنى عن موقف الكنيسة .. الكنيسة تهدف دائما إلى الوحدة . وإلى تعميق مشاعر الود والتعاون وتذويب الفروق .. والأقباط والمسلمون يعملون دائما معا – جنبا إلى جنب – فى المجال السياسى . لأن لنا جميعا أهدافا وطنية واحدة يحرص المسيحى على تحقيقها . تماما كما يحرص عليها المواطن المسلم . وهنا تأتى أهمية الصف الواحد فى النضال الوطنى وفى العمل الداخلى .. كلنا واحد فى مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وفى الخدمة العامة وفى مواجهة العدو الخارجى .. فما هو تبرير وجود حزب مسيحى إذن ؟ أمام المشكلة الاقتصادية .. هل يمكن أن يكون هناك خلاف بين مسلم ومسيحى على ضرورة التصدى لها ؟ الأقباط ليسوا عنصرا قائما بذاته فى مصر .. هذا المعنى مهم جدا ، ولذلك أقوله دائما ، وأكرره ، لكى أضمن أن يصل إلى كل أذن ويتغلغل فى كل قلب .. الأقباط خيوط متداخلة فى هذا النسيج المصرى الواحد ، يعملون مشتركين مع اخوتهم المسلمين فى كل مجال .. فلماذا إذن ينفصلون فى المجال السياسى ؟

□□□

سألت قداسة البابا :

هل صحيح أنكم تعاطفتم – من بعيد – مع الذين طالبوا بإنشاء دولة للأقباط فى مصر .. ؟

هذه الفكرة الغريبة كان أول من أثارها هو الرئيس أنور السادات فى خطابه عام ١٩٨٠ وأعلن أن البابا كيرلس السادس حينما زار أثيوبيا عرضت عليه هذه الفكرة فغضب وعاد مباشرة إلى مصر . وبمجرد أن استمعت إلى هذه القصة أعلنت بكل الوسائل أن فكرة إنشاء دولة قبطية تدخل فى باب الدعاية أو الخرافة أو اللا معقول ، ومع ذلك ناقشت الفكرة بالعقل :

قلت أولا : هل من المعقول أن الأقباط يتركون جميع مقدساتهم فى القطر المصرى كله لكى يتقوقعوا فى أسيوط ؟ . يتركون أديرة وادى النطرون والبحر الأحمر أقدم أديرة فى العالم .. يتركون أماكن زارتها العائلة المقدسة فى أنحاء مصر .. يتركون الكاتدرائية فى العباسية ومقر الكرسى المرقسى فى الإسكندرية ومقر مار مرقس ورفات القديسين .. يتركون الاحتفالات الضخمة التى يقيمونها فى بلقاس وسنباط وميت دمسيس والرزيقات وفى كل مكان لكى يحشروا أنفسهم فى منفى .. ؟

وقلت ثانيا : إن أمن الأقباط يتحقق فى اختلاطهم بإخوانهم المسلمين فى كل بيت وكل شارع وكل حى وكل قرية ومدينة .. هم معا فى المدرسة والمتجر والشارع .. يختلط المسلمون والأقباط اختلاطا كاملا يندر أن تجد له مثيلا فى العالم بحيث لا تستطيع وأنت تسير فى الشارع أن تفرق بين من هو المسلم ومن هو المسيحى .. أما إذا وضع المسيحيون فى مكان فهذا ضد مصلحتهم .. وضد طبيعتهم .. وضد تكوينهم كمصريين يشاركون أبناء مصر جميعا فى المواطنة فى كل مكان ..

وقلت ثالثا : من المجنون الذى يقول : إن أسيوط تصلح لتكون مقرا لتجمع الأقباط .. هل من المعقول أن يعيشوا آمنين فى مكان تحيط به المنيا شمالا ، وسوهاج جنوبا ، ومحافظة البحر الأحمر شرقا والواحات غربا ؟ .. وهل معقول أن يقول إنسان عاقل – أو مجنون – إنه يمكن أن تصبح مصر ثلاث دول .. دولة فى أسيوط .. ودولة فى شمال أسيوط .. ودولة فى جنوب أسيوط .. وكيف يمكن تنفيذ ذلك عمليا .. المسلمون لهم أطيان وعمارات ومتاجر وسماكن وجوامع ومقابر ..

كيف يمكنهم ترك ذلك كله .. ؟ وكيف يمكن إخراجهم من أسيوط ؟ هل ستقوم به الدولة أو سيقوم به الأقباط وهل لديهم القوة التنفيذية لذلك ؟

وتوقف البابا لحظة .. رأيت سحابة من الحزن تمر بعينيه وقال :

صدقنى أنا أحزن فى داخلى بقوة كلما سمعت هذا الكلام لأنى أعرف أن وراءه روحا شريرة ونوايا شريرة ضد مصر بما فيها من مسلمين وأقباط .. وهل نحن من ناحية وطنيتنا وانتماءاتنا نتنازل عن لقب مصرى الذى نفخر به لنأخذ لقب أسيوطى ؟ فنترك مصر كلها .. بكل أمجادها وتاريخها وعظمتها لنتقوقع فى حيز صغير ؟

ثم قال :

هذا الكلام لا يردده إلا أعداؤنا .. هدفهم إثارة الخواطر .. وهذه الفكرة لا تصمد للمناقشة العقلية أو المنطقية ..

ثم قال :

أرجو أن يكون مفهوما أنه لا يوجد شىء فى المسيحية اسمه نظام حكم مسيحى .. بل هناك دعوة للأخذ بالقيم والتعاليم والأخلاق التى بشر بها السيد المسيح .

□□□

قلت :

قداسة البابا .. لقد نشر مقال فى أغسطس ١٩٩٢ فى صحيفة « فرانكفورتر الجماتيه » المعروفة فى ألمانيا بمناسبة زيارتكم لألمانيا ،

وفى المقال قال قبطى مقيم فى ألمانيا إنه « رئيس الحكومة القبطية فى المنفى » وإنه سيقابل البابا ليقنعه بإقامة « الجمهورية القبطية الفرعونية » .

وابتسم البابا وقال :

نعم أذكر هذه الواقعة .. ولكن بقيتها أنى أعلنت فى ألمانيا استنكارى لهذه التصرفات الخاطئة التى يقوم بها بعض الأقباط خارج مصر ، ووصفت الشخص الذى ادعى بأنه رئيس حكومة الأقباط فى المنفى بأنه شخص مخبول .. والغريب أن أكثر من صحيفة فى ألمانيا نشرت هذه التخاريف طبعا بقصد الترويج لحملات الأباطيل المضللة .. هذا الشخص الذى أعطى هذه التصريحات للصحف الألمانية شخص مجهول .. حين سألت عنه لم أجد له حيثية أو أهمية .. وواضح أنه مخرف وغير مسئول .. أو أنه كان مستخدما أداة لتفجير الحملات المغرضة وافتعال الفتنة الطائفية .. لا أقول أكثر من أن هذا شخص مريض .. وفكر مريض .. ولا أقول أكثر من أن هناك قوى خارجية من مصلحتها إثارة الفتنة والسعى إلى تحريكها باستمرار سواء بنشر الأخبار المضللة فى الصحف وأجهزة الإعلام الغربية ، أو باستخدم عناصر فى الداخل تؤدى لهم نفس الغرض ..

وقال :

إننا لن نتهاون مع هذه القوى .. وسنقف لها بالمرصاد لكشف افتراءاتها ولحماية الوحدة الوطنية .. وحدة التراب المصرى أمر نموت من أجله .. واستمرار نسيج المعايشة التاريخية بين المصريين دون تفرقة قيمة نحميها بكل قوتنا .

□□□

وأذكر أنه فى لقائنا بالبابا شنودة بدير الأنبا بشوى سأله أحدنا :

يقال : إنه سبق أن طلبتم من الرئيس السادات قبل الخلاف الذى نشب بينكم زيادة عدد الوزراء الأقباط فى الحكومة .. فما مدى صحة ذلك ؟ !

– هذا لم يحدث على الإطلاق ، ولم أطلب من الرئيس السادات شيئا من ذلك .. فأنا شخصيا عندما اهتم بشئون الأقباط لا أهتم بموضوع الوزارات ولكنى أهتم بالقاعدة الشعبية العريضة من الأقباط سواء فى معيشتها أو وظائفها أو رزقها أو فى أمور عبادتها .. أما مسألة زيادة عدد الوزراء فهذه مسائل فردية بالنسبة للأقباط قد تعطى مظهرا وطنيا .. ولكن حياتهم العامة هى موضع اهتمامنا ، ولذلك أؤكد أننى لم أطلب زيادة عدد الوزراء ولا زيادة عدد القيادات ، ولو وجد طلب مثل هذا كان الرئيس السادات أعلنه فى حينه !!

ثم يقودنا تداعى الخواطر وحديث الذكريات إلى أيام حكم جمال عبد الناصر .. فيقول البابا شنودة :

كان جمال عبد الناصر على علاقة طيبة بالبابا كيرلس ، وهو الذى وضع حجر الأساس للكاتدرائية ، وتبرع لبنائها بمبلغ مائة ألف جنيه وكان هذا المبلغ كبيرا جدا فى ذلك الوقت ، ثم قام الرئيس عبد الناصر بحضور حفل افتتاح الكاتدرائية بنفسه .

وقال البابا :

تتردد فى الخارج شائعات حول اضطهاد الأقباط فى مصر ، وهذه أقوال غير مقبولة ، وخيالية ، ومبالغ فيها ، وهل يصدق أحد ما يقال من أن

الأقباط يتعرضون للقتل فى الشارع ؟ .. فكيف أعيش أنا وأتحرك ويتحرك أيضا ملايين الأقباط فى كل المحافظات والمدن والمراكز والقرى .. ؟

إن هناك أصابع خفية تسعى إلى إيجاد تفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، وتحاول أن تشكك فى ولاء وانتماء الأقباط .

□□□

قلت : هناك محاولات من بعض الباحثين لغرس فكرة أن الأقباط أقلية .. ما رأيك ؟ ..

قال :

أنا أرفض وصف الأقباط بأنهم أقلية ، وحين ظهرت هذه الفكرة على يد أحد الباحثين المسلمين دعا إلى عقد مؤتمر عن الأقليات عام ١٩٩٤[١] أصدرت بيانا أعلنت فيه رفض عقد المؤتمر ورفض المشاركة فيه ، وحين صمم الباحث على عقده فى الخارج لم يشترك فيه قبطى ، وحين اشتعلت الحرب فى البوسنة عقدت مؤتمرا صحفيا عالميا أعلنت فيه إدانة الصرب فى عدوانهم على المسلمين فى البوسنة ، وطالبت الكنائس فى جميع العالم أن تجاهد لوقف نزيف الدم هناك ، والكنيسة فى مصر حريصة على المشاركة فى العمل الاجتماعى العام سواء فى أعمال التنمية ، أو التوعية الصحية ، ومحو الأمية ، وتنظيم الأسرة ، والمشاركة فى مواجهة الأزمات مثل الزلازل والسيول وغيرهما .. الكنيسة دائما حاضرة ومشاركة فى كل مناسبة وطنية وقومية ..

---

(١) انظر مقال الأستاذ محمد حسنين هيكل فى جريدة الأهرام فى نهاية الكتاب (ملحق رقم ١) .

وعن تدخل أطراف أجنبية لحماية الأقباط ، قال قداسة البابا :

هذه مسألة لايمكن السكوت عليها ..

فى سنة ١٩٩٢ عقدت مؤتمرا صحفيا أعلنت فيه رفضى الكامل لأى تدخل خارجى بحجة حماية المسيحيين فى مصر ، وكان ذلك ردا على سؤال من صحفى أمريكى قال فيه : إن بعض الصحف الأمريكية نشرت أن الأقباط المصريين لهم شكاوى ويطالبون بالتدخل الدولى لحمايتهم .. فقلت : إننا غير مسئولين عما ينشر فى الخارج من بعض أفراد .. نحن مسئولون عما يصدر من الكنيسة .. والكنيسة ترفض هذا الكلام .. لا يوجد أحد يطالب بتدخل دولى .. ونحن بصفة رسمية لا نقبل إطلاقا أن تتدخل دولة أجنبية فى الشئون الداخلية .. والأقباط فى مصر لا يقبلون أبدا التدخل الأجنبى .. ولو تدخلت دولة من تلقاء نفسها فإننا نعلن منذ الآن رفضنا لهذا التدخل ..

ثم قال البابا :

ألا ترى أن هناك مؤامرات تحاك فى الخارج للإيقاع بين المصريين .. مرة بزعم احتياج الأقباط لحماية خارجية ، ومرة بطرح فكرة إنشاء حزب قبطى ، أو محاولة عقد مؤتمر دولى لاعتبار الأقباط أقلية ،وفى كل يوم تظهر هذه المؤامرات فى صورة جديدة ..

أما مؤتمر الأقليات فقد رفضناه ، وأعلنت أن الأقباط فى مصر ليسوا أقلية ويرفضون اعتبارهم أقلية ، كما يرفضون التعامل معهم على هذا الأساس .. الأقباط مصريون مائة فى المائة ..الكلام عن أغلبية وأقلية هو سعى للتفرقة والإيقاع والتمييز ، وتكوين المصريين فيه خصوصية ،وسماحة الإسلام ترفض هذه التفرقة ، والإسلام قائم على أن كل البشر لآدم ..كل البشر من أب واحد وأم واحدة ..

إننى أقول بوضوح .. وأكرر .. إن مشاكلنا وقضايانا الداخلية نستطيع أن نحلها نحن داخل البلد وبالطريق الديمقراطى .. لا نحتاج إلى مساعدة من أحد .. وليس لأحد أن يتدخل فى سياسة بلدنا .. ولن نسمح لدولة أجنبية مهما كانت أن تتدخل فى علاقات المسلمين والمسيحيين فى مصر .. وقال :

المسيحيون لهم مشاكل ومطالب .. والمسلمون أيضا لهم مشاكل ومطالب .. والكل مصريون .. ومن حقهم أن يطالبوا .. ومن حقهم أن يجدوا الاهتمام بمناقشة كافة القضايا بأسلوب جدى فى إطار الوحدة الوطنية وفى داخل الأسرة الواحدة .

وحين تطرق الحديث إلى دور الدولة ودور الأقباط فى الحياة السياسية قال البابا :

نحن علاقتنا طيبة جدا مع رجال الدولة .. وأنا التقى بكل القيادات المسئولة تقريبا .. وكل مشكلة نجد لها حلا من خلال العلاقات الطيبة .. أما اشتراك الأقباط فى الحياة السياسية فالأقباط يحبون أن يشتركوا فى كل عمل فى المجتمع المصرى وبخاصة فى العمل السياسى . هذا موضوع يمكن بحثه لنعرف كيف نشجعهم . وإذا كان هناك شعور بأن هناك نفعا فى أى مجال فيجب أن يدعوا إلى ذلك وسوف يلبون ويعملون .. وأنا أدعو المسيحيين للاشتراك فى الانتخابات كواجب وطنى ، ولكن عندما أدعوهم لذلك يقولون : البابا يشترك فى العمل السياسى . والحقيقة أننى لم أفعل إلا أن أحثهم على أن يقوموا بواجبهم ، لأن الاشتراك فى الانتخابات واجب وليس حقا وفقا للدستور والقانون ، نحن دائما نؤدى واجبنا كاملا فى المجالات التى تتاح لنا .. وبصراحة عندما تكون القيادة إسلامية فإنها تخدم

المسيحيين ، ويكون ذلك تسامحا منها ومحبة ، أما القيادة إذا كانت مسيحية فى أى موقع فإنها لاتخدم المسيحيين لأنها تخاف من أن تتهم بالتعصب . وطبيعى أن اختيار القيادات أساسه اختيار الكفاءات دون نظر إلى ديانة هذا وذاك . وإذا اعتاد الجميع أن يعيشوا معا فى محبة فلن تظهر مشاكل .. وأنا أشكر الروح الطيبة وراء كل الكلام الذى قيل الآن .. وأنا أرى أنه يمكن مناقشة كل فكرة بالتفصيل .. كل مانريده هو أن نؤكد المحبة والهدوء .. أعتقد أن المسألة ترجع إلى الجهل من قلة .. لأن المسلم الحقيقى يعرف أن المسلم هو من سلم الناس من لسانه ويده . وإن السلام اسم من أسماء الله الحسنى التى وردت فى القرآن .. وقد يظهر نوع من القيادة الرديئة يسئ استخدام المفاهيم الدينية . وكلما كان قادة الفكر مستنيرين ، سار المجتمع إلى الطريق السليم .

وفى هذا السياق فلازلت أحتفظ بأصل المقال الذى كتبه البابا شنودة للرد على الأستاذ فهمى هويدى عندما نشر مقالا بعنوان المسيحية السياسية عرض فيه كتابا صدر بهذا العنوان وأثار زوبعة وجدلا شديدين فى الأوساط المسيحية لباحث مسيحى شاب هو الدكتور رفيق حبيب ، وهو ابن رئيس الطائفة الإنجيلية الراحل الدكتور القس صموئيل حبيب ، وفى مقال البابا شنودة الذى يجده القارئ فى نهاية هذا الموضوع ؛ توضيح كامل لرؤيته عن المسيحية السياسية يحسم به الجدل الذى يحلو للبعض أن يثيره بين حين وآخر .

واعتقد أن نشر هذا المقال – بنصه – يفيد فى التعرف على الموضوع ، وعلى أسلوب البابا شنودة فى التفكير والكتابة والحوار مع الفكر المخالف .

□□□

كتب قداسة البابا فى مقاله[1] :

« فى هذا الوقت التى تبذل فيه كل الجهود ، لتعميق المحبة بين النفوس ، وترسيخ السلام ، وتضميد جروح الوحدة الوطنية ، نتيجة ماحدث فى المنيا وأبى قرقاص ، طلعت علينا الأهرام بمقال عن (المسيحية السياسية) ، عرضت فيه لأفكار شاب بروتستانتى ثائر على كل الأوضاع ، يلقى الاتهامات بلا حرص وبلا دليل ، ويتعرض لكل القيادات بالاسم ، ليس فى الكنيسة القبطية وحدها ، بل حتى فى كنيسته الإنجيلية ، بل يتعرض أيضا للقيادات الإسلامية وللوعاظ والشيوخ المسلمين ، ولما أسماه «الصراع بين المعممين والمطربشين» . ويحلل شخصيات القادة الدينيين، ويدخل فى نواياهم ومقاصدهم ، ويتخيل لهم أهدافًا ووسائل. ويعزو كل عمل روحى أو رعوى إلى هدف سياسى ..

وكنت أظنه كباحث فى علم الاجتماع ، أو فى علم الأنثروبولوجيا ، يلجأ - كشأن العلماء - إلى البحث الميدانى ، ولايعتمد على مجرد القراءات فى الكتب . فيقابل من حلل شخصياتهم ، ويناقشهم ويتعرف على أفكارهم واتجاهاتهم ، حتى يكون بحثه قريبا من الحقيقة بقدر الإمكان . ولكنه لم يفعل ، إنما قدم استنتاجاته الشخصية كواقع أو حقيقة .. ! ولم يتورع عن اتهام أى أحد . ونرى فيما نشره فى كتابه ، وما نشر له فى جريدة الأهرام الغراء ، ما ينافى التاريخ والواقع ..

وقد ذكر الأستاذ فهمى هويدى فى ختام مانشره من كتاب هذا

---

(١) صورة ضوئية لنص مقال قداسة البابا وبخط يده فى نهاية الكتاب (ملحق رقم ٢) .

المؤلف ، أخيرًا فإن توقيت صدور الكتاب الآن له دلالته ، وسط الجدل القائم حول الشأن المسيحى الإسلامى ، خصوصًا وأن القارئ المدقق يلاحظ أنه كتب بقدر من التعجل ملحوظ » .

هنا وأحب أن أذكر بعض تعليقات حول ما نشر .

تعريفات :

بادئ ذى بدء ، أحب أن أقول : إنه فى كل مانكتب ، يعوزنا أن نفهم المعنى العميق لكثير من الألفاظ المتداولة ، ونبحث هذه التعريفات . فمثلا ماهو المقصود بكلمة السياسة ، وما معنى المسيحية السياسية ؟ وما الفرق بين السياسة والوطنية ؟ وأيضا ما معنى التطرف ؟ وهل هو التطرف الفكرى ، أو التطرف الممتزج بالعنف أو بالاعتداء أو الجريمة ؟ ثم أيضا ما معنى العنف ؟ وما حدوده ؟ ثم ما معنى المسيحية فى المقال : هل هى الأرثوذكسية أو المسيحية فى كل الكنائس ؟

تقول مقدمة المقال « المسيحية السياسية كما يعرضها الباحث هى التى تتجاوز الروحى إلى المادى ، وتتجاوز العبادى إلى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى » . فمن قال : إن هذا التعرف مقبول ؟ ! ما هو التعريف الدقيق لعبارة روحى وعبارة مادى ؟ مثال لذلك : هل الشخص الروحى لايطعم جوعانًا ، ولا يكسو عريانا ، ولا ينقذ شخصًا فى ضيقة مالية ؟ وهل تدخل هذه الأمور فى العمل الروحى أو العمل الاجتماعى أو العمل الاقتصادى ؟ أو نقول : إن العمل الروحى يشمل هذا كله ؟ فالروحانية تدعونا إلى الشفقة والإحسان . والشفقة تعودنا أن نسند المحتاجين فى أعوازهم المادية ، ونساهم فى حل مشاكلهم الاجتماعية وأزماتهم الاقتصادية ..

فهل إذا ساهمت الكنيسة فى هذه المجالات تكون قد خرجت عن عملها الروحى العبادى ، إلى عمل مادى أو اجتماعى ؟ ! وهل تستطيع الكنيسة أن تغلق قلبها عن مساعدة المحتاجين ، بحجة أن عملها هو عمل روحى عبادى ؟ وهل يُقبل هذا منها ؟ ! إن السيد المسيح نفسه كان يعلم الشعب ويكرز بالملكوت ، وفى نفس الوقت كان يطعم الجياع ويشفى المرضى ويعصب المنكسرى القلوب .

وهل لو اقتصرت الكنيسة على العمل العبادى دون الاجتماعى ، هل يتفق هذا مع المركز الاجتماعى الكبير ، أو المؤسسة الاجتماعية الضخمة ، التى تقوم فى المنيا بعمل نبيل تحت رئاسة والد الباحث القس الدكتور صموئيل حبيب رئيس الطائفة الإنجيلية الذى تربطنا به أواصر من المودة والتعاون ؟

وهذا يجعلنا نبحث – فى محبة معًا – ماهو عمل الكنيسة ؟ وإلى أى حد توصف بالسياسة ؟

الكنيسة والسياسة :

ورد فى المقال « والكنيسة فى هذا وذاك ، لا تمارس سلطة ولا وظيفة ، ولا تطمع فى حكم . ولكنها تؤدى دورًا . فيصبح لها رأى وموقف » . والسؤال الآن هو : هل نريد كنيسة بلا رأى وبلا موقف ؟ وإن صارت كذلك ، هل تكون نافعة للمجتمع الذى تعيش فيه ؟ ! وهل تكون أيضا نافعة للدولة ؟ ! . وهنا يتعرض الباحث أو مؤلف الكتاب إلى العلاقة بين الكنيسة والدولة ، ويقسمها إلى مراحل زمنية . ويبدو التحامل على الكنيسة واضحًا ..

إن تعاونت الكنيسة مع الدولة ، يصفها بالتدخل فى السياسة ! وإن وقفت صامتة مقتصرة على العمل الروحى العبادى وصفها بالانعزال وبالرفض وبالعنف السلبى وإحراج الدولة بابتعادها عنها !!

ماذا تفعل إذن ؟ هل تندمج الكنيسة فى المجتمع الذى تعيش فيه ، وتفرح لأفراحه ، وتتألم لآلامه ، عملاً بقول الكتاب « فرحًا مع الفرحين ، وبكاء مع الباكين » .. وإن فعلت هذا ، هل تكون قد خرجت عن العمل الروحى العبادى إلى العمل الاجتماعى أو السياسى حسب تعبير المؤلف ؟ ! وإن لم تعمل ، هل يصفها بالانعزال عن المجتمع ، وبرفض المجتمع ؟ ! إنه أمر محير ..

فى ثورة سنة ١٩١٩ يذكر التاريخ بكل إعزاز كيف أن القسس كانوا يخطبون فى الأزهر ضد الاحتلال الانجليزى . وكيف تعاونت الكنيسة والأزهر فى هذا المجال .. فهل كان ذلك خروجًا عن الخط الروحى العبادى ، وتدخلاً فى السياسة تلام عليه الكنيسة ؟ !

أو كان ذلك عملاً وطنيًا . وهنا نسأل عن الخط الفاصل بين الوطنية والسياسة ؟ وما حدود اشتغال الكنيسة فيهما ؟ وهل يجب أن تكون الكنيسة بلا رأى بلا موقف ؟ ! وبصراحة نحب أن نسأل : ما هى المواقف التى اتخذتها الكنيسة وتعبر تدخلاً فى السياسة ؟

إن الباحث يرى أن مجرد إبداء الرأى سياسة !! ونحن غالبا لا نبدى الرأى إلا إذا سألونا . فهل إذا سئلنا نصمت ؟ ! ألا يفهم صمتنا عند ذاك أننا تحت ضغوط أفقدتنا حريتنا الشخصية .

وإن صمتنا صمتًا كاملاً ، ألا نسمع أصواتًا لائمة من كل ناحية تقول « أين دور الكنيسة فى التوعية ؟ ! لماذا تقف هكذا سلبية ؟ ! » هل نجيب بأن المطلوب أن تكون الكنيسة بلا رأى بلا موقف ؟ إننا لا نعمل بالسياسة ، وليس لدينا وقت لها ، ولا هى من اختصاصنا . ولكن هناك مواقف إن صمتنا فيها ، نلام على صمتنا ، ونوصف بالسلبية .

هنا ويتعرض المؤلف ، وكاتب المقال إلى موضوع ذكر الأستاذ هويدى أن « له أهميته » وهو مدارس الأحد ، وجيل مدارس الأحد ، والرموز التى « تخرجت فى وعاء مدارس الأحد » وسنجيب عن تساؤلاته فى هذا المجال ..

مدارس الأحد :

ما هى مدارس الأحد ؟ وما عملها ؟ ومتى نشأت ؟ وهل قامت كرد فعل لقيام الإخوان المسلمين ؟ وهل كان لها نفس دورهم ؟ هذه أسئلة تعرض لها المقال . ونحن نجيب :

مدارس الأحد هى فصول لتعليم الدين فى كل كنيسة ، ولا هدف لها سوى التعليم الدينى ، وتدريب الأطفال على حضور الكنيسة ، وعلى حياة الفضيلة ومحبة الله والناس . إنها جزء من العمل الروحى العبادى . العظة للكبار ، أما الصغار فلهم مدارس الأحد . وحاليا نسميها مدارس التربية الكنسية ، وتعقد يوم الجمعة أيضًا .

ولم يحدث فى يوم من الأيام أن تدخلت مدارس الأحد فى السياسة

بأى أسلوب ، ولا كان لها دور سياسى على الإطلاق . وكل هجوم عليها ، لامبرر له ولا دليل .

والشاب البروتستانتى صاحب الكتابين ، يعرف تمامًا أنه توجد مدارس أحد فى كنيسته الإنجيلية وفى كل الكنائس البروتستانتية ، بل فى كل كنائس العالم بلا استثناء ، فى مصر ، وفى الشرق الأوسط ، وفى أوربا وآسيا وأمريكا . لماذا التركيز إذن علينا ؟ !

أما جماعة الأمة القبطية التى خطفت البابا يوساب الثانى فى بداية الخمسينات ، فهى ليست من مدارس الأحد ، ولا تمتُّ إليها بأية صلة . وما قامت به هو مجرد عمل فردى ، ولم يستمر سوى يوم ، وكان منتقدًا من الجميع .

ومدارس الأحد بدأت فى مصر مع بداية القرن العشرين ، وكانت لها جذور فى نظام الكتاتيب التى كانت ملحقة بالكنائس منذ قرون طويلة ، يقوم فيها (العريف) بتدريس الأطفال الدين والطقوس والألحان ،

هى إذن ليست رد فعل لقيام الإخوان المسلمين ، لأنها كانت موجودة قبل ذلك بعشرات السنين . وكان عليها أن تستمر فى عملها لتعليم الأطفال سواء قامت جماعات إسلامية من أى نوع أو لم تقم . إنها لا تتدخل فى مثل هذه الأمور .

والأسر الجامعية لم تنشأ فى بداية السبعينات ، كما قال مؤلف الكتابين لكى يربطها بالبابا شنودة . إنما نشأت فى أواخر الخمسينات ، بهدف التعليم الدينى لطلبة الجامعات . وكان أمينها العام هو الأستاذ الدكتور

شفيق عبد الملك .. وذلك قبل عهد البابا كيرلس بسنوات .. والطلبة فيها يجتمعون لسماع الوعظ ، فى أقرب كنيسة ، ثم ينصرف كل منهم إلى حاله ، وبهذا لا يكوّنون تشكيلاً معينا . وطلبة كل كلية لايعرفون زملاءهم فى الكليات الأخرى .

مدارس الأحد هى جزء من النظام الكنسى العام ، خاضعة للقيادة الكنسية ، وليست جماعة قائمة بذاتها . يحضرها الطلاب والمدرسون كما يحضرون الصلاة فى الكنيسة .

وتلقى الدروس الدينية فى الكتاب المقدس وسير القديسين والعقيدة ، ويتعلمون الترتيل ، ثم يمضى كل واحد لشأنه . ولا يرتبط العاملون إلا بالتعليم الدينى وحده . وقد جعلها قداسة البابا كيرلس السادس جزءًا من أسقفية التعليم .

لكل هذا ، كانت لكل مدرس فى مدارس الأحد شخصيته ، ومنهجه الفكرى ، وانتماؤه الخاص فى المجتمع . إنهم داخل الكنيسة جماعة تعلم الدين . أما خارجها فهم مجرد أفراد ، لكل منهم أسلوبه الذى يتفق مع تكوينه النفسى والفكرى وظروفه الاجتماعية واتجاهاته فى الحياة .

التطرف والعنف :

إنه سؤال كثيرًا ما يسأله البعض : هل يوجد أيضا تطرف فى الجانب القبطى ؟ وهنا نسأل : أى تطرف هو المقصود ؟ هل هو تطرف فى الفكر أو تطرف ضد الآخرين ؟ من جهة الفكر ، فى وسط ملايين الناس ، نحن لا نضمن أن يكون فكر الكل سليما ، فقد تجنح أفكار

البعض ، ويكون عمل الكنيسة هو التعليم السليم ، وهداية من تخطئ أفكاره .

أما التطرف الممزوج بالعنف والإيذاء ، فهو غير موجود عند الأقباط .

ولا يوجد إطلاقا تطرف قبطى يدعو إلى مثل هذه الأمور . ونحن جميعًا ندعو الناس إلى المحبة والسلام ، وإلى الوداعة والتواضع والهدوء .

وأتذكر أننى ألقيت محاضرة ضد العنف فى أواخر سنة ١٩٧٧

وطبعت هذه المحاضرة فى كتاب لى اسمه (الحروب الروحية) . قلت فيها « إن المسيحية لاتوافق على العنف فى كل صوره ، لأنه سلوك غير روحى وتتركز فيه مجموعة من الأخطاء » . فهو خطيئة مركبة ومنفرة ، وخطيئة عدوانية . وهو دليل على قسوة القلب ، وعلى البغضة ، وعدم ضبط النفس . وهو ضد الوداعة وضد المحبة .

واستثنيت من هذا مواقف تحتاج إلى عنف وحزم من الدولة صيانة للمجتمع وللحق العام « مثل معاقبة الخطاة المستهترين أو المستبيحين ، أو الذين يهددون المجتمع بجرائم تحطمه أو تحطم تراثه وقيمه » « فهناك جرائم إذا لم تؤخذ بعنف ، قد يستهتر مرتكبوها فيكررونها . أما إذا عولجت بحزم وحسم ، فإن المجتمع يتقى ويتطهر » .

وواضح أن المعاقبة على الجرائم ، وحماية المجتمع من المجرمين هو عمل الدولة .

ولكن الباحث – سامحه الله – حاول أن يستنتج من هذا الموافقة على استخدام العنف فى عبارة أضافها من عنده وهى (الحق القبطى

العام) . وهذا ما لم نذكره مطلقا ولايتفق مع روح المقال ، ونسى قول السيد المسيح « طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون » .

واتهم الكنيسة بالعنف السلبى الذى قلنا عنه إنه « مثل الكآبة المستمرة ، والبكاء الدائم ، والإضراب عن الطعام ، والصمت الحزين ، والانسحاب » . وواضح أن الكنيسة لم تسلك فى مثل هذه التصرفات التى تحدث أحيانًا فى المحيط العائلى عند البعض .

ننتقل إلى نقطة أخرى وهى الهوية والشعبية .

الهوية والشعبية :

حسب الباحث أن كل عمل رعوى تقوم به الكنيسة ، وتخدم به أبناءها التى هى مسئولة عن روحياتهم أمام الله ، إنما هو كسب شعبية ، وتأكيد للهوية .. وبذلك خرج من المفهوم الروحى للرعاية ، ومسئولية الأبوة الروحية . واعتبر أن الكنيسة تجذب الناس إليها ، بدلاً من المفهوم الرعوى للكنيسة فى جذبهم إلى الله . وتحدث فى موضوع « شعبية الكنيسة » بدلاً من العمل الرعوى للكنيسة . إنه تفكير عجيب ، لم يستطع أن يصعد إلى المستوى الروحى ، فخرج به إلى السياسة .

أما تأكيد الهوية ، فنحن لسنا فى حاجة إليه مطلقًا . معروف عند الكل أننا أقباط . ولسنا فى حاجة إلى تأكيد أننا أقباط ، وأننا مصريون ، وأننا أبناء لهذا الوطن المحبوب الذى قلنا عنه « ليست مصر وطنا نعيش فيه ، إنما هى وطن يعيش فينا » ...

ختاما :

أحب أن أؤكد للأستاذ فهمى هويدى أنه لاتوجد جماعات فى المسيحية تنادى بالتكفير ولا بالمالكية . وطول خدمتى فى الكنيسة فى أكثر من خمسين عامًا ، لم أسمع عن هاتين العبارتين فى المحيط الكنسى . ولم ألمح لأى منهما وجودًا عمليا . هذه واحدة .

والنقطة الثانية هى أنه إذا انحرف فرد فى وقت ما عن التفكير الكنسى السليم ، فلا يعتبر هذا اتجاهًا أو تيارًا داخل الكنيسة ، أو أنه يمثل مجموعة فيها .

ورأيى فى الكتابين اللذين قدمتهما للجمهور ، أنهما مجرد تفكير شخصى لباحث له حرية التفكير وكنت أود أن حريته لاتتمادى حتى تتعرض لقيادات دينية ، غالبًا لم يعرف الكثيرين منهم وليست له بهم خلطة . ونصيحتى له - كباحث - أن يعيد التفكير فيما نشره .. فكثير من معلوماته لاتتفق مع التاريخ والواقع . وفى رأيى أنها لا تتفق فى شىء مع الصالح العام ..

وختاما أرجو لك صومًا مقبولا ، وعيدًا سعيدًا .. أعاد الله عليكم هذه الأيام بالخير والبركة » .

❑❑❑

قلت : وماذا يقول البابا شنودة عن عروبة الأقباط فى مصر ؟

يقول البابا :

العروبة جزء رئيسى فى تكوين كل الشعب المصرى .. والثقافة العربية والحضارة الإسلامية عنصر رئيسى فاعل فى ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا .

عروبتنا لا شك فيها .. نحن مصريون عرب أقباط .. ونحن نرى أن مشاكل العرب لا حل لها بغير وحدة عربية .. والتفكك العربي على مدى التاريخ لايستفيد منه إلا أعداء العرب ..

ثم قال لى البابا :

هل تعلم أن أول شهيد فى حرب ٦ أكتوبر لم يكن شهيدا واحدا ، ولكن كان هناك شهيدان سقطا معا ، فى لحظة واحدة ، وهما متعانقان ، أحدهما المقاتل غريب أحمد ، والتوءم الثانى هو شنودة .. ألا ترى فى هذه الواقعة تجسيدا لكل ما يمكن أن أقوله .. ؟

ثم قال :

فى معارك ١٩٦٧ استشهد اللواء شفيق متري سدراك ، وقد نشرت الصحف عن المقاتل جورج الذى رفع العلم مع زملائه .. والشهيد نشأت بخيت الذى اختيرت والدته الأم المثالية لمصر فى عيد الأم عام ١٩٧٤ تكريما لبطولة ابنها .. وسأظل أذكر العبارة التى كتبها الكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل فى الأهرام فى نوفمبر ١٩٧٣ وقال فيها : « لقد استطاع أحمد وجرجس ، وعويس ومرقص ، أن يواجهوا موشيه وحاييم وآرى .. » ولا أنسى ما جاء فى الأهرام فى نوفمبر ١٩٧٣ أيضا فى تحقيق كبير قالت فيه : « وأقيمت فى كل قطاع من قطاعات الجبهة مصليتان متجاورتان ، واحدة للمسلمين ، والثانية للمسيحيين » ..

وتوقف البابا لحظة كما لو كانت مشاهد هذه الفترة قد عادت تتجسد أمامه .. وقال :

عندما نشب القتال يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كان أول شيء أن أصدرت بيانا لإعلان تأييد الرئيس والقوات المصرية الباسلة ، وطالبت الجميع بالتطوع

فى الدفاع المدنى والإسعاف والتبرع بالدم وبالمال ، وأقمنا الصلوات فى الكنائس يوميا ابتهالا إلى الله أن ينصر مصر وجيشها .. وعقدت اجتماعات مع الكهنة والجمعيات القبطية لحشدهم لدعم المجهود الحربى . وطلبت من كل كنيسة وجمعية أن تقدم لى تقريرا يوميا عما تقدمه .. بعد ذلك عقدت اجتماعا للطوائف المسيحية بمقر البطريركية وشكلت لجنة لجمع التبرعات ، ولجنة للإعلام الخارجى للاتصال بالكنائس المسيحية فى أنحاء العالم وشرح حقائق الموقف المصرى .. وقمت بزيارة الجرحى فى المستشفيات ، وقدمنا مائة ألف بطانية لوزارة الشئون ، و ٣٠ ألف جهاز لنقل الدم لوزارة الصحة ، وكتبت مقالات كان لها أثر فى الأوساط الإسرائيلية ، ومازال بعض اليهود يثيرون زوابع حولها .. مقال بعنوان : « إننا ندافع عن أراضينا ودفاعا عن الحق » والثانى بعنوان : « أرض سيناء مقبرة الإسرائيليين ، ومقال ثالث بعنوان : « الصهاينة أعداء المسيحية » . واتصلنا بالكنائس الأمريكية لنطالبها بتوعية الرأى العام الأمريكى بعدالة جهادنا من أجل استرداد حقوقنا وأرضنا المسلوبة ، وضرورة تصحيح التحيز الأمريكى .

وقال :

وكذلك كنائس المهجر .. شاركت فى المعركة .. الكنائس المصرية فى لوس انجلوس ونيوجرسى وشيكاغو ونيويورك نظمت اجتماعات وتبرعات وصلوات .. وخرج الأقباط المصريون فى مظاهرات وطنية فى المدن الأمريكية الكبرى وعقدوا ندوات لشرح الحق العربى فى مونتريال وتورنتو بكندا ، وسيدنى وملبورن باستراليا ، وفى نيويورك وشيكاغو فى أمريكا .. ونسقت الكنائس المصرية بالخارج مع السفارات المصرية نشاطها فى جمع التبرعات وشراء الأدوية .. وقام بعض المهاجرين الأقباط باستئجار أوقات فى محطات

التليفزيون الأمريكية لشرح موقف مصر من القضية الفلسطينية وحق العرب فى استرداد أراضيهم المغتصبة ، كما اشتروا مساحات فى الصحف الأمريكية نشروا فيها مقالات تشرح الحقائق للقراء الأمريكيين .. وأقامت الكنائس المصرية فى الخارج قداسات إلهية لطلب النصر من الرب لجنودنا البواسل ..

ثم قال :

لقد أرسلت إلىَّ وزارة الخارجية المصرية خطابا أشارت فيه إلى أن الكنائس القبطية تقوم بجهود طيبة لجمع التبرعات وشراء الأدوية ..

ثم قال البابا :

ولا أنسى زيارتى للجبهة مع عدد من الأساقفة والكهنة وأقمت قداسات فى كنائس مدن القناة ليحفظ الله مصر وشعبها وينصر الحق العربى .. ولا أنسى لقائى مع اللواء أحمد بدوى وكان قائدا للجيش الثالث الميدانى ، وانتقالى فى سيارات القوات المسلحة إلى ميناء ، وانفعالى وأنا أرى المواقع الحصينة فى خط بارليف وقد تهدمت ، وتجولت فى أرض سيناء الحبيبة حتى عيون موسى وممر متلا .. وفى الذكرى الأولى لانتصارات أكتوبر أقمنا مؤتمرا شعبيا داخل الكاتدرائية حضره نواب رئيس الوزراء والوزراء وكبار رجال الدولة وقادة القوات المسلحة ، وقمنا بتكريم مجموعة رمزية من ضباط وجنود معركة العبور مسلمين وأقباطا ..

□□□

ثم قال البابا :

المواقف كثيرة .. فى معركة تحرير الكويت شارك المقاتلون المسلمون والأقباط معا .. وكان من ضمن الشهداء المقاتل أمجد صفوت عجيب ، وقد

أمر الرئيس بتكريم خاص له ، وأمر بنقل جثمانه بطائرة حربية إلى مطار أسيوط حيث استقبلته هيئات رسمية وشعبية ودينية ، وشارك فى الجناز الجميع فى بلدته البلينا ، وقرر المجلس المحلى إطلاق اسمه على الشارع الذى ولد فيه ..

ويضيف قداسته :

إن مواقفى ليست مواقف سياسية ، بل هى مواقف وطنية ، وقد عبرت عنها فى إحدى المرات فى برقية أرسلتها إلى الرئيس حسنى مبارك وقلت فيها : « أشكركم يا سيادة الرئيس على محبتكم التى أظهرتموها نحونا فى مناسبات متعددة ، أدام الله لكم هذا القلب الكبير ، وحفظ الله لكم هذه الحكمة ، وأبقى الله مصر على الدوام أمثولة طيبة للمحبة والسلام والأمان يعيش فيها المسلمون والمسيحيون معا بقلب ينبض بحب مصر ، وبروح واحدة تؤمن بإله واحد نعبده جميعا ونسبح باسمه القدوس .. إن بلادنا على الدوام فوق الأحداث ،تجتازها وتخرج منها شامخة نقية ، ونحن نعلن للجميع أن المسلمين والمسيحيين يضعون محبتهم لله والوطن ، ومحبتهم لبعضهم البعض فوق كل اعتبار .

وقال لى البابا :

هذا ما قلته للرئيس مبارك بالأمس ، وأقوله اليوم وكل يوم .

ثم قال :

– إن مصر قلب كبير .. ومبارك قلب كبير ..

هذه حقيقة .

وساد السكون لحظة ..

كنا خلالها فى صلاة شكر لله .

□□□

١٣ التعصب والفتنة

دخلت الدير لأول مرة فى شهر رمضان .. !

كانت لدى رغبة قديمة فى أن أشاهد ما يجرى داخل الدير ، وكان الدير بالنسبة لى عالما غامضا ، لا أعرف كيف يعيش فيه الرهبان ، ولا ماذا يأكلون ، ولا كيف يقضون سنوات طويلة داخله ، وبماذا يشغلون أيامهم ولياليهم . وكنت أظن أن دخول مسلم إلى الدير سوف يثير الدهشة ، وربما الاستنكار ، ولكنى فوجئت بترحيب البابا شنودة بأن يحقق لى هذه الرغبة .

كان ذلك فى شهر رمضان فى سنة ١٩٨٧ وكنت أيامها فى الأهرام ، وحين أبديت هذه الرغبة ووجدت الترحيب شجعنى ذلك على أن أطلب من البابا أن يكون معى بعض زملائى من الصحفيين المعروفين فى الأهرام ولديهم نفس الرغبة .

وكان جواب قداسة البابا :

– أهلا وسهلا .. الدير يرحب بزواره دائما ويقدم لهم واجب الضيافة .. بيوت الله مفتوحة دائما لمن يقصدها ..

وأضاف :

– أى دير تحب أن تزور .. ؟

ووقعت فى شر أعمالى ، إذ ظهر جهلى بهذه المسألة ، فلم أكن أعرف حتى ذلك الوقت عدد الأديرة أو أماكنها وأسماءها .. ولم تخف حيرتى الصامتة على فطنة البابا فأنقذنى منها بلطفه :

– هناك أديرة كثيرة .. فى الوجه البحرى مثلا أكثر من تسعة أديرة ، فى صحراء وادى النطرون منها أربعة : دير الأنبا بشوى ، ودير السريان ، ودير البراموسى ، ودير الأنبا مقار .. والباقى فى أماكن متفرقة ..فى منطقة مربوط دير القديس مينا .. فى منطقة شمال قناة السويس دير تل .. وعند بلدة تل العسل دير تل اتريب ، وفى شبين القناطر دير سرياقوس ، وعند بلقاس دير السيدة دميانة .. بخلاف دير سقارة ودير القصير عند طره بالقاهرة ، وأديرة أخرى فى حلوان .. هذا فى الوجه البحرى ..

وسألنى البابا :

– أم تريد أن تزور أحد أديرة الوجه القبلى .. ؟

وأسرعت أقول : لأعفى نفسى من مشكلة الاختيار :

– ليكن الدير الذى يعتكف فيه قداسة البابا شنودة ، ويتولى رئاسته بنفسه .. فتكون فرصة لأرى أين وكيف يعيش البابا فى فترات الاعتكاف .. وأنا أعرف أن البابا يقضى ثلاثة أيام فى الأسبوع فى الدير ويومين فى القاهرة ويومين فى الاسكندرية ، ولا يغير هذا البرنامج الا لضرورة ..

وابتسم قداسة البابا وهو يقول :

– اتفقنا .. سأنتظركم فى دير الأنبا بشوى فى وادى النطرون ..

ثم ختم حديثه مبتسما :

– نقضى اليوم معا ، ونتناول الإفطار معا ..ولس غريبا أن تكونوا صائمين .. فالرهبان يعيشون حياة صوم طويلة ..

ولمع بذهنى خاطر كالبرق :

– إفطار رمضان فى دير .. ! وفى ضيافة البابا .. !

فرصة نادرة .. وتاريخية .. !

فى الطريق كان طبيعيًا أن يدور حديث نسلّى به صيامنا ونهيّئ أنفسنا للزيارة ..دون ترتيب كان الموضوع عن الدير والأديرة .. وملخص ما سمعته إجابة عن أسئلة كثيرة أن نظام الرهبنة فى المسيحية نشأ أول ما نشأ فى مصر ، وأن أول دير أنشىء فى العالم كان فى مصر .. وأن الرهبنة لها فلسفة هى بناء النفس البشرية من جديد على أساس الصفاء الروحى .. فالراهب ينصرف عن ضوضاء العالم وضجيجه ، ويعكف على العبادة إلى أن تصفو نفسه وتتطهر ، ثم يعرف ذاته ، ويعرف بالتالى صفاته ونقاط ضعفه ، إنه يبعد عن الوجود الخارجى ، فيسكن ، وفى السكون يستبطن ذاته ، فتنكشف له ، فيتبينها على حقيقتها ويعلم أمراضها وأدواءها .. وفى الهدوء والسكون يصمت عن الكلام ، فيتكلم الله فيه ، ويسمع حكم الله عليه ، فتتولاه الرهبة والخوف ، ومن هنا جاءت كلمة الرهبنة ، والرهبانية مشتقة من الرهبة التى تتولى العابد بعد أن تتكشف له ذاته ، كما تنكشف له الأنوار العلية .. فالرهبنة فى جوهرها كما قالوا هى .. « الانفصال عن الكل للاتحاد بالواحد » . الرياضات الروحية التى يمارسها الراهب فى خلواته وفى صومعته ، مع ضبط

الشهوات بالصوم والزهد والنسك وحياة التقشف وتدريب النفس على الجوع والحرمان والتجرد .. كل ذلك يصل بالراهب فى النهاية إلى مرحلة تموت فيها شهواته الحياتية ويصل إلى مرحلة الإضاءة والإشراق التى يرى فيها فى ذاته ما لم يكن قد رآه من قبل .. فيتولاه الفرح بعد الفزع ..

الكلام ليس غريبا ..

هو كلام فى الصوفية ، والزهد ، والبعد عن الناس للاقتراب من الله .. كلام كنا نسمعه زمان من الدكتور أبو العلا عفيفى أكبر أساتذة التصوف الإسلامى حين كان يشرح لنا أفكار المتصوفين الإسلاميين العظام .. الحلاج .. وابن عربى .. وابن عطاء الله السكندرى .. وقائمة طويلة من المتصوفة .

قال لى أحد الزملاء همسا وهو يجيب عن تساؤلى :

– طبعا .. التصوف هو التصوف .. فى المسيحية كما فى الإسلام .. هو رغبة فى التجرد عن الدنيا والاقتراب من الخالق .. وهذه الرغبة قديمة فى الإنسانية حتى من قبل نزول الديانات السماوية .. ستجد فى كل زمان ومكان منذ خلق الله البشر مجموعة من الناس تنفصل عن ضجيج العالم ، وتفضل الانعزال والانفراد ، وتختار حياة الفقر طوعا ، وستجد أن النسك نزعة إنسانية قديمة .. طائفة البراهمة فى الهند يعيشون – قبل الأديان – على حياة الوحدة والتقشف الشديد وإذلال الجسد ..

المصريون القدماء كانت لديهم فلسفة متكاملة للزهد .. فعقيدة الحياة بعد الموت أهم عقائد المصريين وهم أول من قال بها فى التاريخ .. وكان الكهنة يخصصون لآلهتهم فترات مختلفة للصوم والعبادة ويمتنعون عن أكل اللحوم والسمك وشرب الخمر ..

الزهد فى الدنيا قديم .. والتطلع إلى الاقتراب من الله قديم ..

.. اليهود أيضا كانت لهم جماعات من الزاهدين والنساك .. فى القرن الثانى قبل الميلاد عاشت جماعة منهم كان اسمها « الأسينيين » حول شواطىء البحر الميت ، كانوا يحرّمون على أنفسهم الزواج ويكدّون للحصول على القوت ويتصدقون بما لديهم للفقراء . وكانت هناك جماعة أخرى منهم اسمهم « السرابيوتاى » تعيش خارج المدن فى أكواخ غاية فى البساطة ، ولم تكن هناك أى علاقة بين الفئة الغامضة وبين الرهبنة المسيحية الأولى كما ذهب بعض المؤرخين ..

□□□

طاف بخاطرى تساؤل :

هل لابد لكى نقترب من الله أكثر أن نبتعد عن الدنيا أكثر .. ؟

وإذا انعزل كل الأخيار والأطهار ونجوا بأنفسهم بعيدا وعاشوا وحدهم .. ألا يعنى ذلك أن يخلو العالم للأشرار .. ؟

ولم استسلم كثيرا لخواطرى لأننا كنا قد وصلنا إلى بوابة الدير الضخمة ، وكان صرير البوابة وهى تفتح كافيا لإشعارنا أننا ندخل عالما آخر مختلفا عما هو خارجه ..

وفى الداخل كان ينتظرنا راهب فى وجهه نور هادئ ، وابتسامته من القلب ، فيها حب حقيقى وترحيب حقيقى .. رحب بنا واقترح أن نقوم بجولة داخل الدير قبل أن نلتقى بالبابا .. وبعدها صحبنا إلى الطابق العلوى للدير .

النسمات الطرية تهب علينا رقيقة ، ذهبت حرارة الجو ، وجاءت النسمة الحلوة مع زقزقة عشرات الآلاف من العصافير .. تسبح ربها فى إيقاعات تجعل القلب يخفق ..

سبحانك يارب ..

وأصبح لصيام رمضان طعم جديد فى هذا المكان .. رأيت زملاء الرحلة يتجهون إلى السماء واحدا بعد الآخر .. كأنه فى صلاة قصيرة يناجى فيها ربه ..

من بعيد هلت علينا ابتسامته الواسعة ، خطواته خجول متواضعة ، ولحيته يتسلل اليها المشيب على استحياء .. إنه الأنبا بسنتى أسقف القاهرة .. أهلا بكم ومرحبا .. كل عام وأنتم بخير .. رمضان كريم ..هل رأيتم الدير .. إذا كان هناك أى سؤال أنا تحت أمركم ..

هل رأيتم المشهد العظيم من الدور الثالث .. الصحراء الواسعة حولكم ، ودير الأنبا مقار قريب منا ..وأيضا دير السريان على مرمى البصر .. إن الوصول إليه أسهل بكثير من غيره ..وفيه أجمل الزخارف القديمة كما أن فيه ثروة من المخطوطات القديمة النادرة التى تفيد الطلاب والباحثين فى أبحاثهم ..

ودار حديث حول المخطوطات القديمة ومدى الاهتمام بها فى الأديرة .. وبدأ يظهر فى السماء خط أحمر عريض .. المغرب يقترب ..

لحظة صمت ، ثم قال الأنبا بسنتى بابتسامته الخجول المتواضعة :

– سيدنا فى انتظاركم ..

□□□

واتجهنا إلى لقاء قداسة البابا شنودة .. كانت الشمس الملتهبة قد هدأت حتى أصبحت بردا وسلاما ..

ونحن فى داخلنا .. والجو من حولنا .. جوقة واحدة تسبح لله .. الله الواحد المعبود .

حين وصلنا إلى مقر قداسة البابا كان واقفا هناك وحوله مجموعة من الكهنة .. ابتسامته الواسعة .. ترحيبه الشخصى الذى يجعلك تشعر أنك صديقه وأنه ينتظر هذه اللحظة من زمان .. ثم حديث قصير عن الرحلة ومشاهدات الدير .. وإشارة إلى مبان حديثة .. هنا أنشأنا مبانى جديدة .. هنا استراحة للزوار .. وهنا قاعة للاجتماعات ..

تفضلوا إلى السطح لتستريحوا ، وتستمتعوا بسعادة النظر إلى الشمس وهى تتجه إلى الغروب وقد أديتم الفريضة وصمتم لله يوما .. الصوم طاعة وعبادة .. وشكر لله على نعمه وهى كثيرة .. أكثر من أن يحصيها بشر .. الصوم فرصة ليبتعد الإنسان عن الانشغال بجسمه ومعدته . وينشغل بحياة الروح ..

□□□

على السطح جلسنا ..

قداسة البابا شنودة يتجه إلى الشمس ويتأملها لحظة .. ثم تنساب أمامنا خواطره :

بعد لحظة تغرب الشمس وتتركنا .. الحقيقة أن الشمس لا تغرب . ولا تتركنا ، الأرض هى التى تتحرك ، ونحن بهذا الجزء من الأرض الذى نعيش عليه نعطى ظهورنا للشمس .. فى الحقيقة نحن الذين نغرب وليست الشمس .. هكذا حال الإنسان .. أحيانا يقول : إن الله نسينى .. الله تخلى عنى .. الله ابتعد عنى .. أبدا .. الله لا يبتعد ولا يتخلى .. الله موجود ينتظر عباده دائما ويستمع إليهم دائما ويستجيب لهم دائما .. لكن الإنسان هو الذى يدير ظهره لله ، الإنسان هو الذى يبتعد عن الله .. الإنسان بيده أن يكون قريبا أو أن يكون بعيدا عن الله ..

لحظة صمت .. الهدوء الكامل يخيم على المكان .. لا أحد يريد أن يقطع على قداسة البابا تأملاته .

– هنا يحس الإنسان بالهدوء الحقيقى .. الهدوء الكامل .. إننى أحب هذا المكان من أجل الهدوء ، ولا أقضى فى القاهرة إلا أياما قليلة .. كل إنسان ينشد الهدوء .. الهدوء هو الأصل فى الكون .. قبل أن يخلق الله الكون كان الله وحده فى هدوء كامل . ملايين السنين مرت بل ما هو أكثر .. والهدوء هو الأصل .. وأخذ الله يعمل فى هدوء ، وكان عمله الأول هو الخلق .. خلق الله الكون ، وعاش الكون فى هدوء .. متى بدأ الكون يفقد هدوءه .. كان ذلك بعد أن خلق الله مخلوقات عاقلة ذات إرادة حرة .. مع خلق الإنسان بدأ الكون يفقد هدوءه .. كان أول فقدان للهدوء بسبب الشيطان .. فقد الشيطان هدوء قلبه فى الداخل حينما داخله

الكبرياء ، فقاد ثورة فى السماء ، وطرد الشيطان من السماء ، وبقيت السماء هادئة ، ومن جهة البشرية عاش آدم أولا فى هدوء ، وهو فى الجنة ، حتى الوحوش كانت تحيا معه فى هدوء ، الحيوانات المفترسة لم تكن مفترسة فى أيام آدم .. والعجيب أن الإنسان فقد هدوءه وهو لا يزال فى الجنة ، وذلك بعد أن أخطأ .. لما أخطأ خاف وخجل وخاط له من أوراق التين ما يستر عريه .. وطرد آدم وحواء من الجنة ، ثم توالت الخطايا .. وفقد الإنسان هدوءه .. ثم فقدت الأرض هدوءها .. كيف نعود إلى الهدوء ؟ .. هذه هى معركتنا مع الشيطان ، ومع أنفسنا ..

كان الحديث حلوا .. وصوت قداسة البابا هادئا .. ونحن نستمع بهدوء ..

بعد لحظة اتسعت ابتسامة قداسة البابا وهو يقول لنا :

ها قد اكتمل الغروب .. تفضلوا الإفطار .. لا يكفى أن تروا الغروب بأعينكم ، لابد أن تستمعوا إلى أذان المغرب لتطمئنوا إلى صحة صيامكم .

وفتح أحد الكهنة رداديو صغيرا فانطلق منه صوت الأذان عاليا يشق الهدوء والصمت ..

وكانت لحظة صمت شعرت معها أن جسمى كله يهتز ..

أحسست معنى الإخوة فى الله .. وأحسست حقا أن المؤمنين إخوة .. مهما اختلفت أديانهم .. إذا كانوا مؤمنين .. ومخلصين .. فهناك شىء يربطهم .. هو الإيمان بالله الواحد .. هناك مساحة واسعة مشتركة بين أصحاب الديانات .. ومساحة الخلاف قليلة .. الحكم فيها ليس من شأن البشر ، ولكن الحكم لله وحده حين يقف الجميع أمامه ..

□□□

وجلسنا حول قداسة البابا نتناول طعام الإفطار فى دير الأنبا بشوى .

بسم الله الرحمن الرحيم .. اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا .. فتقبل صيامنا وقيامنا يا أرحم الراحمين .

كرم الضيافة واضح .. قداسة البابا « يعزم » علينا بمودة .. الرهبان يتولون الخدمة .. والبابا لا يكاد يتناول لقيمات .. يبدو أن هذا الطعام لنا وليس لمن يعيشون حياة الدير ..

لحظات وننتهى من الطعام ..

بعد الشاى يقول لنا قداسة البابا : تفضلوا لتصلوا المغرب ثم نلتقى ..

وقمنا نصلى المغرب فى دير الأنبا بشوى .. وبعدها عاد الجمع فى حلقة واسعة حول قداسة البابا شنودة لتبدأ مع الشاى أيضا ندوة غير مرتبة .. تحدث فيها كل من يريد ، وسأل فيها كل من لديه سؤال . سحر خاص كان يحيط بنا لا أعرف .

كدت أوقن أن ثمة أرواحا ترفرف حولنا وتشاركنا المكان .

ربما كان ذلك بتأثير الجو الروحى الذى كان يملؤنا .. جو رمضان .. الشهر المبارك .. وقد قضينا يومه صائمين وعلى سفر ، وكان ذلك جزاء ما تحملناه من طول الطريق وشدة القيظ .. ومن تطوع خيرا فهو خير له ، وكانت هذه السعادة الروحية التى تفيض بها قلوبنا هى الخير والجزاء ..

ربما كان بتأثير المكان .. دير الأنبا بشوى فى قلب الصحراء وفيه قسيسون ورهبان نذروا أنفسهم لعبادة الله ولا يشغلهم سواه ..

كانت اللحظة كلها سحرا فى سحر .. القمر فوقنا اكتمل وأصبح بدرا ..

والهدوء يلف المكان .. فى وسط الدائرة جلس قداسة البابا شنودة بردائه الكهنوتى الأسود المطرز بصلبان بلون ذهبى وابتسامته تملأ وجهه .. جعلت الابتسامة تعرف طريقها إلى الجميع ، وحوله مجموعة من كهنة الدير يتحركون بهدوء فلا تكاد تشعر أنهم يتحركون ..

□□□

وبعد أن فرغنا من صلاتى المغرب والعشاء ومن تناول الشاى .. بدأت جلستنا مع قداسة البابا وقد أصبحت بالفعل جلسة سمر تضم أصدقاء قدامى يتجاذبون الحديث بلا تحديد للموضوع ولاتحضير للأسئلة .. ولكن غلبنى سؤال طرح نفسه ، عن رأى قداسته فيما يثار حول التطرف باسم الدين . فقال :

بالنسبة للتطرف فهو لا يتفق مع الحق لأنه خروج عن الحق ، والذين يتطرفون قد يتطرفون بطريقة إيجابية أو سلبية .. والمسائل كلها تحتاج إلى توعية لتفهم الناس ما هو الحق وما هو الخير ، والمتطرف غالبا هو إنسان مقيد برأيه ولم يدرس الرأى الآخر ولم يفهمه ويبالغ فى تنفيذ ما يرى أنه خير .. كذلك التطرف فى الفكر وإن كان خطرا ولكن الأخطر منه هو استخدام العنف لتنفيذ التطرف الفكرى .. ونحن نحتاج أيضا إلى أن نعلم الناس كيف أن العنف منفر وأنه ليس الوسيلة السليمة لنشر المبادئ السليمة .. والمفروض أن الإنسان يقتنع بالوضع السليم لا أن يرغم عليه بالقوة وإلا كان داخل الإنسان فى اتجاه وخارجه فى اتجاه آخر . والتطرف يحتاج إلى تعليم وتوجيه من أشخاص موثوق بهم فى عملهم وفى معرفتهم ويحتاج إلى قيادة وإلى اهتمام بالشباب منذ صغره

عندما كان مطواعا فى يد المربين والمرشدين قبل أن يكبر وتكبر نفسه فى نظره .. فالعالم يترك الشباب بدون توجيه حتى يكبروا ثم بعد ذلك ينوح ويبكى على تطرفهم .. وكان الأفضل أن يقودهم منذ صغرهم ومع ذلك فالطريق مفتوح للإرشاد والتوعية والاجتماع بالشباب واحتضانه وحل مشاكله وإقناعه دون مهاجمته . ورأيى أن العنف يدل على قلة الحيلة .

فالأم التى تضرب ابنها لكى تربيه تعلن فشلها عن إقناعه ، وعلى رأى المثل : « من أطاع عصاك فقد عصا لك » .. العنف سلاح خارجى بينما الإقناع سلاح داخلى .. العنف تعبير منحرف عن القوة .. قد يظن البعض – وأحيانا تظن بعض الدول – أن العنف أقصر طريق لتحقيق الغرض ؛ لكن هذا تصور خاطئ ، لأن العنف يولد العنف المضاد ..

ويقول البابا :

سُئِلت . هل المتطرفون يعبرون عن رفضهم لأمور يرون أنها خطأ فى المجتمع ، فقلت : إن الخطأ لا يعالج بالخطأ . العنف والاعتداء والتخويف خطأ ، والهدف النبيل لابد أن يتخذ وسيلة نبيلة ، والدعوة إلى الخير تكون بالأمر بالمعروف كما جاء فى القرآن الكريم ، وسئلت أيضا عن العوامل الخارجية التى تحرض وتحرك التطرف فقلت : إن واجبنا أن نغرس الوعى ونحمى الشباب من الاستجابة لهذا المحرض الخارجى ، ومن لايساعد نفسه لا ينتظر من الغير أن يساعده ..

وأسأل البابا شنودة : هل تشعر بالقلق من موجة التدين بين المسلمين ؟

قال :

أبدًا .. أبدًا .. أنا أشعر بالعكس .. أشعر بالراحة لذلك .. لأن المسيحيين يكونون فى اطمئنان حين يتعاملون مع مسلمين متدينين يعرفون جوهر دينهم ، لأن الدين يحمى الإنسان من الخطأ والانحراف والشر ، ولكنى أشعر بالقلق من العنف الذى يظهر لأسباب اجتماعية ، وأحيانا تحركه قوى خارجية ، ويحاول أن يظهر بمظهر دينى ، ويدعى أنه تعبير عن الإسلام ، وأنا أعلم جيدا أن الإسلام بعيد كل البعد عن الظلم والإرهاب .

□□□

ووصل الحديث طبعا إلى الجرائم التى يرتكبها من يعتبرون أنفسهم جماعات إسلامية وقال البابا شنودة :

أنا لا أقول : الجماعات الإسلامية ، ولكن : أقول الجماعات المتطرفة . فالذين قتلوا الدكتور رفعت المحجوب وجهوا اعتداءهم إلى شخصية مسلمة ، إذن فالتطرف يوجه عدوانه إلى الجميع . والمتطرفون لا دين لهم .. لأنه لا يوجد دين يحض على القتل والعنف .. وليس هناك دين يدعو إلى انتهاك حرمة أماكن العبادة .. ونحن واثقون من أن مرتكبى هذه الجرائم هم مجرمون احترفوا الإجرام والقتل .

وأحب أن أقول : إننا يجب أن نعمل دائما بالحب ، مثلا عندما بدأت تقليد الدعوة إلى الإفطار فى مغرب رمضان اتسعت المسألة فانتقلت إلى جميع أحياء القاهرة والاسكندرية وسائر المحافظات على امتداد شهر رمضان . الناس تجلس معا فى حب . ويتبادلون التفاهم ، ويختلطون معا ، ويعيشون معا ، وهذا مايحدث منذ قديم الزمان .. المسيحى يسافر فيترك مفتاح شقته

أو رعاية أسرته وأولاده إلى جاره المسلم والعكس .. هذه هى الحالة التى عاش عليها المصريون دائما .. وأذكر وأنا صغير أن أبى كان يزرع أرضه مع جاره المسلم فى أرض واحدة وكانا شريكين فى كل شىء وكانا يتعاملان دون أوراق بمجرد كلمة الشرف . والثقة بينهما كاملة . هذه هى الحياة فى مصر .

وهل يرى البابا أن الإرهاب يهدد وحدة المصريين .. ؟

يقول البابا :

الإرهاب خطر على المجتمع كله ..والكنيسة ليس لها موقف يختلف عن موقف المجتمع المصرى فى إدانة كل صور الإرهاب .. أما وحدة المصريين فلا خوف عليها .. ولا خوف على مصر ووحدتها أبدا .. مصر هى « المحروسة » برعاية الله .. تناوب عليها الغزاة ، وأرادوا بها شرا ، وأراد الله بها خيرا ،وحافظ على وحدة أرضها وشعبها ، ومصر والمصريون جميعا فى حفظ الله من كل شر إلى آخر الزمان ...

وحين سألت قداسة البابا عن وجود هيئات مسيحية متطرفة قال :

صدقنى .. أنا لا أعرف هيئة متطرفة داخل الكنيسة أو خارجها .. أرشدونى عنها وأنا أعالجها ..

ثم قال :

إننى عندما أسافر إلى أوربا وأمريكا وأستراليا وكندا تكون مهمتى رعاية الأقباط ، ولكنى اعتبر رعاية إخوتى المسلمين فى هذه البلاد واجبا على ، ولذلك فى كل بلد أزور المسجد ، وأقابل الشيوخ المسلمين ، وأتناول الطعام معهم ، وألبى دعواتهم لى ، وفى كندا يدعونى السفير المصرى إلى لقاء

بقادة المسلمين من كل البلاد الإسلامية وليس من مصر فقط ، وفى استراليا جاء بعض المسلمين وشكوا لى من تصرفات بعض المسيحيين وجمعت بينهم .. واتفقنا على أن يتعاونوا فى عمل مشترك لصالحهم جميعا . واتفقنا على عقد اجتماعات دورية يلتقون فيها معا فى جمعية أبى بكر الصديق بالاشتراك مع الجمعية المصرية للمسيحيين فى استراليا ، على أن يكون سكرتير الاجتماع هو الكاهن ..

وقال البابا :

فى المهجر سألنى الأقباط لماذا لا أطالب بإلغاء خانة الديانة من البطاقة الشخصية فقلت لهم هذا شيء ليست له أهمية ، فالأسماء تدل على الديانة غالبا ، والمسيحى لا يرى عيبا فى أن يذكر فى البطاقة أنه مسيحى ، ولا يجد مشكلة نتيجة لذلك ، فلماذا نفكر فى هذا الأمر بدون مناسبة .. والمسألة ليست مسألة بطاقة وبيانات .. المسألة هى تعميق المحبة فى القلوب ..

□□□

وأسأل البابا شنودة :

وماذا تقول عن الفتنة الطائفية ؟ ..

فيقول :

فى داخلى شعور ويقين بأن هذه الأحداث ليست فتنة طائفية .. مصر ليست فيها مشكلة طائفية .. المسلمون والأقباط بينهم تاريخ طويل مشترك .. وبينهم نقاط التقاء كثيرة .. والشعور الوطنى واحد فيهم بحيث لا تستطيع أن تميز بين القبطى والمسلم فى الوطنية .. واجبنا أن نعمل جميعا على تعميق نقاط الالتقاء ولا نعطى فرصة لمن يحاول إثارة المشاعر من هنا أو

من هناك .. الإعلام عليه مسئولية كبيرة خصوصا التليفزيون .. وللحق فإن شيخ الأزهر يعمل بإخلاص فى هذا الاتجاه وكذلك وزير الأوقاف .. نحن نحتاج إلى استمرار جهد المثقفين والمستنيرين للحفاظ على روح مصر .. روح السماحة والمحبة .. والجهود يجب أن تكون ذات طابع شعبى ويقودها المثقفون ورجال الدين المسلمون والأقباط ..

وكل الأحداث التى وقعت لا تؤثر فى حقيقة مصر .. وإن كانت الأحداث خطيرة فعلا .. ولكنها فى نظرنا لا تعبر عن حال الشعب كله .. والذين قاموا ويقومون بها يريدون إظهارها بحجم أكبر من حجمها الحقيقى .. قد تكون وراءها أهداف سياسية ترتدى ثياب الدين .. على اعتبار أن الدين له تأثير أعمق فى نفوس المصريين .. ولكن على أية الحالات الحزن بسبب ماحدث لن يفيدنا .. والأجدى لنا هو التفكير فى العلاج حتى لا تتكرر الأحداث .. وحتى نضع أساسا لمستقبل من الوحدة تتضافر فيه جهود الجميع ..

ويضيف الباب شنودة :

أنا أحب أن أقول : إن الطائفية لا وجود لها فى مصر ولن يكون ، فلدينا جيش وطنى يقف فيه المسلم مع القبطى جنبا إلى جنب للدفاع عن الوطن ، ولدينا حكومة وطنية كلنا وراءها مسلمين ومسيحيين .. وعندنا رئيس مخلص هو رئيس للجميع ولاشك فى هذا أبدا ، ونحن نؤيده ونباركه وندعو له فى صلواتنا ليوفقه الله فى خطواته السلمية لخير البلاد .

وحدة الشعب مسألة مهمة يجب أن نعمل كلنا مع الرئيس للحفاظ عليها .. التفرقة ليست لصالح أحد ..الانقسام ليس لصالح أحد .. يجب

أن نذكر أن القصد الإلهى فى الخليقة كان هو الوحدة ، فالله خلق العالم كله من أسرة واحدة هى آدم وحواء ، وبعد الطوفان أعاد الله تكوين العالم من أسرة واحدة .. فكلنا فى العالم كله أبناء آدم (أب واحد) ونوح (أب واحد أيضًا) .

والله أراد للعالم أن يكون فكرا واحدا وقلبا واحدا ،ولكن الناس تفرقوا : وأعطانا الله مثالا جميلا عن الوحدة فى الجسد ، حيث جمع الأعضاء لتتحد معا رغم أنها متعددة ومختلفة فى الوظائف ، ويكون الجسد سليما عندما لا يكون هناك تعارض بين وظائف أعضائه ، فالأعضاء كثيرة وبينها اختلاف ولكن هدفها واحد وتتعاون ..كذلك أعطانا الله مثالا آخر فى الأسرة .. فيها اختلاف ولكن الاختلاف فيه تعاون وتكامل ووحدة ، فالله يريدنا دائما فى هذه الوحدة ، والله خلق فى الإنسان الفكر والشعور ، ويريدنا أن نتحد فى الفكر والشعور ويأمرنا أن نحب بعضنا بعضا ، وفى الإنجيل « الله محبة » ..

وقد عشنا فى مصر فى محبة ..

ولن يستطيع أحد أن يفرق ما جمعه الله .

وإذا أردتم أدلة على مدى قوة الوحدة الوطنية فخذوا موقف الأقباط من الحروب الصليبية .. لقد جاء الغزاة من أوربا رافعين الصليب وادعوا بأنهم رسل المسيحية لإنقاذ القدس من أيدى المسلمين ، فماذا كان موقف المسيحيين المصريين ؟ لقد انضموا إلى إخوتهم المسلمين ضد المسيحيين الغزاة .. وحاربوهم .. واختلط الدم المسيحى مع الدم المسلم دفاعا عن القدس .. الأقباط هنا مصريون أولا وعرب ثانيا .

وخذوا موقف الأقباط المصريين فى ثورة ١٩١٩ .. كل خطوة كان يشترك فيها الأقباط مع المسلمين بلا أدنى تفرقة ، ولذلك ظهر تلقائيا شعار وحدة الهلال مع الصليب ، وكان الذين نفاهم الاستعمار البريطانى مع سعد زغلول نصفهم من الأقباط .. وعندما فرضت الحماية البريطانية على مصر ، كانت بريطانيا تدعى أنها جاءت لحماية الأقلية المسيحية ، لكن الأقباط المصريين رفضوا الحماية ورفضوا الاحتلال ولم يبتلعوا الطعم .

فمصر ليست وطنا نعيش فيه ، ولكنها وطن يعيش فينا .. لحظة أبتعد عنها أجدها فى قلبى .. أجدنى أحملها معى فى كل مكان ، وأعيش فيها وتعيش فى داخلى ، وأنا فى أى بلد فى العالم .. ومن المؤكد أن هذا شعور كل مصرى ، لافرق بين مسلم ومسيحى إطلاقًا فالمصرى مصرى ، وتحت جلد المسلم والمسيحى تجد الدم المصرى واحدًا .. وفى ساحات المعارك تجد هذا الدمّ الواحد روى أرض مصر كلها من أولها إلى آخرها .

إن أصدقائى المسلمين أكثر من أن أستطيع إحصاءهم .

الدكتور يوسف والى بينى وبينه صداقة كبيرة .. والدكتور عبد القادر حاتم .. والمهندس حسب الله الكفراوى .. وخالد محيى الدين ..

ومن رجال الدين تجمعنى صداقة مع الشيخ الشعراوى .. وعلاقتى بمشيخة الأزهر بدأت فى عهد الشيخ جاد الحق الذى كان يحرص على حضور مأدبة الإفطار فى رمضان التى نقيمها فى الكاتدرائية .. ووزير الأوقاف الدكتور حمدى زقزوق أعتز بصداقته ، ودعانى للحديث فى المؤتمر الإسلامى لأتحدث عن الإسلام والغرب مع فضيلة الإمام الأكبر .

أما أعمق علاقة صداقة فهى مع فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر .. صداقة قوية جدا حتى أننا نتفق فى الرأى فى شتى الأمور .. وقد اعتادت كثير من الهيئات أن تدعونا معا فى الندوات والمؤتمرات ، لأتحدث عن موقف المسيحية ، ويتحدث هو عن موقف الإسلام ، فلا يكون بيننا اختلاف فى الرأى .. وذهبنا معا فى مؤتمر القدس فى أبو ظبى فكان اتفاقنا موضع تقدير المؤتمر .

والإمام الأكبر الدكتور طنطاوى رجل يتصف بالسماحة وسعة الأفق ويتصف بالعدل ، وتعجبنى فيه فضائل عديدة ..

وقال قداسة البابا :

على مر العصور لم يحدث أن قامت صداقة بين شيخ الأزهر وبابا الأقباط مثل الصداقة التى تربط بينى وبين شيخ الأزهر الدكتور طنطاوى .. صداقة تخرج عن حدود الرسميات .. وهو يتعامل مع جميع الأساقفة والآباء بمودة ومحبة وينادبهم بالاسم ويعاملهم بمودة عميقة .

وابتسم البابا شنودة وقال :

– هكذا نحن فى مصر .. وهذه هى الروح السائدة بيننا .. وماعدا ذلك فأمور عابرة تنتهى مع الوقت .

□□□

وحين سألته عن رأيه فيما يقال من أن الصحافة كان لها دور فى إثارة الفتنة وخلق مشاكل بين الأقباط والمسلمين قال قداسة البابا :

لا استطيع أن أجمع الصحافة كلها فى اتجاه واحد .. الحقيقة أن كل صحيفة لها اتجاه .. وأنا لا أتابع كل الصحف والمجلات لكى أحكم عليها جميعا .. وأحب دائما أن أفترض حسن النية .. وأحب أن أقول : إن

الصحافة إذا استباحت بعض الشخصيات وبعض الأمور الخاصة وجعلتها مضغة فى الأفواه تكون مخطئة ..

والصحافة لها دور كبير أساسى فى تثبيت دعائم الوحدة الوطنية ، وبخاصة الجرائد اليومية التى تتصل بفكر الناس وشاعرهم على الدوام يوما بيوم . إننا نشكر نقابة الصحفيين على شاعرها وتوجيهاتها . ونود أن يكون للصحافة عمل عميق مستمر فى بناء الوحدة والحب ، ولاشك أن دورها له اتجاهان : اتجاه إيجابى فى تنمية الوحدة واتجاه آخر فى معالجة السلبيات . وكل ذلك بالإقناع والتوعية . وضرب الأمثلة من التاريخ ، وتحليل الجانب الدينى والتركيز على الآيات التى تدعو إلى المحبة وإلى التعامل بالود ، والمجادلة بما هو أحسن ، وتقديم مناخ فكرى طيب يشترك فى بنائه كبار المفكرين ، بأدلة من المنطق والدين ..

والظاهر أن البلد يتحمس كلما تقع أحداث تهز الضمير الوطنى . ويبدو الحديث عن الوحدة الوطنية كما لو كان حديثا للمناسبات فقط ، بينما الوضع السليم أنه يكون حديث الوحدة هو المناخ العام ، وحبذا لو اشتركت فى الكتابة أقلام كثيرة متنوعة مسلمة ومسيحية ..

– الصحافة وحدها تتحمل كل هذه المسئولية ؟ ..

– هناك واجب آخر يقع على المدارس والكليات وكل دور العلم ، فى نشر علاقات المحبة بين الطلاب ، وهم صغار وهم شباب ، حتى ترسخ فى مشاعرهم مبادئ التعاون والمودة ، واحترام بعضهم للبعض ، وعدم التفريق بينهم بأن هذا مسلم وهذا مسيحى . بل التركيز على أن الكل مصريون ، يعيشون فى مجتمع واحد يسوده السلام والحب . وأن الدين –

كل دين – يدعو إلى المحبة . وأن كل إنسان يعطى صورة مشرقة عن مبادئه الدينية عن طريق حسن تعامله مع الآخرين .. ويجب أن ينشأ الطلبة خلال حياتهم الدراسية على نبذ العنف ، بإظهار أضراره لهم ، وتوجيه طاقاتهم إلى العمل البناء مشتركين فيه بعضهم مع البعض الآخر ، مقتنعين أن القوة الحقيقية هى فى كسب محبة الناس وفى خدمتهم ، وليس فى إيذاء أحد ، أيا كان السبب الداعى إلى الإيذاء .

إن أطفالنا عجينة سهلة التشكيل فى أيدى أساتذتهم ومعلميهم ، فليت بلادنا تقيم دورات تربية وتوعية للمدرسين فى كيفية إنشاء وإرشاد الطلاب على مبادئ الحب لا العنف ، ومنح جوائز تقديرية من الدولة للعاملين فى المدارس التى تتفوق فى هذا المجال .

□□□

وحين وصل بنا الحديث إلى مشاكل الشباب فى مصر وما ظهر فيهم من سلوك سلبى قال لى البابا شنودة :

لماذا نتحدث الآن عن مشاكل الشباب . ألم يكن هؤلاء الشباب أطفالا وكانوا فى حضانتنا . ألا يدعونا الإنصاف إلى القول بأن مشاكل الشباب هى من صنعنا نحن وليست من صنعه .. لو أننا أحسنا أداء واجبنا لكان شبابنا قادرا وحده على رفض كل فكر غريب يمكن أن يقابله .. وقادرا على حل كل مشكلة يمكن أن تواجهه .

إذا أردت الحديث عن الشباب فأمامنا موضوعان : موضوع معالجة المشاكل القائمة للشباب حاليا . وموضوع الشباب الذى سيظهر بعد سنوات وتظهر معه مشاكله .. وأعنى به أطفال اليوم وهم – طبعا – شباب الغد .

لابد أن نبحث جميعا– وليس الدولة وحدها –ماذا قدمنا للطفولة .. وأطفالنا الآن فى يد من ؟ وهل المهتمون بهم على مستوى تنشئتهم على الطريق السليم وإعدادهم ليكونوا فى الغد شبابا بلا مشاكل ولا انحرافات ؟ تنشئة الطفل لاتصادفها عوائق لأن طبيعة الطفل تجعله يقبل المبادئ التى تعطى له ولايقاوم . وعقلية الطفل صفحة بيضاء نكتب عليها مانشاء ، فإذا اهتممنا بالطفولة ننشئ جيلا جديدا سليما يصير شبابا قويا بمبادئه بعد حين . وهنا نحتاج إلى اهتمام حقيقى بما نقدمه للطفل من قصص وكتب وأناشيد فى البيت والمدرسة .. وللأسف أغلب قصص الأطفال عندنا عن الخرافات أو العفاريت أو عن بشر من الخوارق .. وأكثرها لا يعطى القيم التى نريد غرسها وتأكيدها .

بالعكس .. إن أكثر هذه القصص تؤدى إلى تكوين شخصية مريضة لاتؤمن بالتفكير العلمى المنطقى .. ولا تتطلع إلى اكتشاف المجهول والسيطرة على الظواهر وإدارة المشاكل بإيجابية .

لقد فكرت أن اطلع بنفسى على القصص المتاحة للأطفال عندنا ، وبحثت فيها .. هل تغرس قيم الرجولة ، والانتماء ؟ هل تقدم له فكرة الوطن بشكل متكامل ؟ فوجدت الإجابة .. لا .. غالبا .. ولذلك أقول : إن الشاب الذى يحطم أو يحرق أو يتلف شيئا من الملكية العامة أو الخاصة .. شاب ضال لم تتكون فى ذهنه فكرة صحيحة عن الوطن .

□□□

ويمتد الحديث ليصل إلى ظاهرة العنف فى السلوك العام .. فى الشارع .. فى العلاقات الخاصة .. فى العمل .. ازدياد درجة العدوان لدى الشباب ..

تلاميذ يضربون المدرسين .. وأبناء يقتلون الآباء .. وشباب يقع فريسة المخدرات وعصابات السطو و « البلطجة » .. ما الأسباب ؟ .. وما الحل ؟

يقول البابا شنودة :

الأسباب واضحة .. قصور فى التربية .. البيت .. المدرسة .. الإعلام .. النادى .. أفلام السينما وقنوات التليفزيون مدارس لتعليم العنف وغرس العدوانية .. وهناك طرق كثيرة للعلاج .. أولها أن نبدأ بمراجعة المناهج والقصص التى تقدم للأطفال فى سن مبكرة ، ونقلل من قصص الإبهار بأبطال العنف .. نقلل من تمجيد القوة والتعامل مع الآخرين بالعدوان .. نقلل من إعجاب الطفل بالمصارعين والملاكمين وطرزان والرجل الأخضر والمرأة الخارقة .. نقدم البديل الذى يعلم الأطفال حياة المحبة والتعاون والتفاهم .. الأسرة والمدرسة والإعلام مؤسسات مسئولة مع المسجد والكنيسة لنعلم الشباب أن الهدف النبيل لابد أن يكون تحقيقه بوسائل نبيلة أيضا .

□□□

وقد تسألنى ما هى القيم ؟ ..

حسنًا لنأخذ مفهوم الحرية .. كيف قدمنا للشباب مفهوم الحرية ، وكيف يفهمه الشباب .. هل الحرية أن يفعل الإنسان ما يشاء دون قيود أو ضوابط ؟ هل الحرية أن تعتدى على حريات غيرك أو على حقوق غيرك أو على النظام العام ؟ .. الحرية مثل النهر .. النهر يحتاج إلى شاطئين لحمايته ، والحرية تحتاج إلى ضوابط لحمايتها وتنظيم ممارستها . والمفروض أن يفهم الشباب الحرية بمعنى روحى .. بمعنى التحرر من الخطيئة ومن العادات الرديئة ومن سيطرة المادة .. الحرية هى حرية القلب وحرية الروح .. وحرية الفكر محكومة بالقواعد الثابتة والمسلمات .

خذ أيضا مفهوم القوة .. هل هى القوة العضلية أو هى قوة الشخصية التى تعتمد على الذكاء والثقافة والقدرة على الإقناع ؟ .. أما مفهوم القوة عندى فهو قوة الإيمان .. قوة الإرادة التى تجعل الإنسان لا يهتز أمام المشاكل .

وخذ مفهوم الحب .. الحب الحقيقى لله ولكل الناس بلا تفرقة ولا تمييز .. والذى يعرف قلبه طريق الكراهية يضل الطريق إلى الله لأن الله محبة .

خذ مفهوم الحق .. هل يعلم الشباب أن أنصاف الحقائق ليست هى الحقائق ؟ . وهل يعرف أن دفاعه عما يراه حقه يجب أن يشمل حق غيره أيضا ؟ نحن نحتاج فى هذه المرحلة بالذات إلى أن نعلّم شبابنا احترام الرأى الآخر وتفهمه ، وأن الإنسان يصل إلى الحق بمعارف كثيرة وليس بمعلم واحد ، ومحب الحقيقة يشبه النحلة فى محبتها لكل الزهور .

□□□

وحين أسأل البابا شنودة :

مع الصداقة التى تربطك بشيخ الأزهر .. هل يمكن أن تعمل الكنيسة والأزهر فى عمل مشترك ؟ ..

يقول :

نعم .. أمامنا مجالات للعمل المشترك بين الأزهر والكنيسة ..

وأقول لك أولا إننى أعلم جيدا سماحة الإسلام واستشهد بآية فى القرآن توصى المسلمين بمحبة المسيحيين : ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم

لا يستكبرون﴾ .. واستشهد أيضا بالحديث الشريف : « استوصوا بالقبط خيرا فإن لكم فيهم نسبا ورحما » .. وهكذا فإن طريق التعاون مفتوح ..

نحن والأزهر نتفق فى الهدف وهو تكوين أجيال مؤمنة إيمانا قويا .. وتربية الشباب تربية روحية متكاملة .. التربية الدينية ليست حفظ النصوص الدينية فقط ، ولكن غرس الروح الدينية السليمة بما فيها من قيم التسامح ومحبة الناس جميعا مهما اختلفوا عنا فى الجنس أو اللغة أو الدين .. نحن نحتفل بعيد الأم وفيها نقدم التكريم لكل أم .. مصر هى الأم الكبرى .. وكلنا أولاد لها .. لابد أن نكرمها .. وتكريم مصر أن تظل بلد الوحدة .. المسلمون والمسيحيون فيها شعب واحد بقلب واحد .. وهذا هو واجبنا الأول الذى نستطيع أن نقوم به مع الأزهر ..

نستطيع أيضا أن نتفق على تدريس القيم المشتركة بين الأديان ليتعلم الشباب أن الأديان كلها تتفق فى القيم الأخلاقية والحياة الطاهرة والتعاون بين البشر .. وفى تنقية الروح من الخطايا ..

هذا واجب المسجد والكنيسة ، سواء فى الخطب الرسمية ، أو العظات أو فى اللقاءات العامة والفردية ، وفى كل مايقدمونه للناس من معرفة دينية وأسلوب فى التعامل . ينبغى أن تكون المحبة والوحدة فى جوهر أحاديثهم ، باهتمام وبقلب خالص وبقدوة طيبة . وما أجمل أن يظهر رجال الدين المسلمون والمسيحيون معا فى عمل مشترك ، وفى وحدة قلب ، ووحدة هدف ، بل أيضا فى وحدة الوسيلة والأسلوب ..

وقد أعجبنى المجهود الطيب الذى قام به وزير الأوقاف ، والمظهر الطيب الذى ظهر به رجال الدين معا فى المنيا وبنى سويف وغيرهما فى أكثر من

لقاء ، بالروح النبيلة التى ظهرت فى كل توجيهات الرئيس مبارك الذى يحرص على الوحدة الوطنية ويدعو إليها مخلصا فى كل مناسبة ..

وفى رأيى أن بلادنا تحتاج إلى لقاءات كثيرة لرجال الدين المسلمين والمسيحيين معا ، بمشاركة فعالة فى العمل من أجل الوحدة الوطنية ..

فما أسهل أن يعمل المسجد وحده ، وتعمل الكنيسة وحدها من أجل الوحدة والمحبة . ولكن الأثر الطيب يزداد وضوحا وفاعلية كلما عمل المسجد والكنيسة معا فى إطار واحد ، مع ترك الخلافات العقيدية لإيمان كل إنسان على حدة . وليتحدث الجميع فى النقاط المشتركة وهى عديدة جدا ، فى كل مجالات العمل لأجل الإيمان بالله وخدمة الوطن ونشر المحبة فى قلوب الجميع نحو بعضهم البعض ..

ويضيف البابا شنودة :

إن حفظ الوحدة الوطنية وتقويتها ليس واجب رجال الدين الإسلامى والمسيحى فقط ، بل يجب أن تتعاون فيه كل الهيئات الرسمية والشعبية على حد سواء ، بل كل فرد ، وكل جماعة ، وكل نقابة ، وكل مؤسسة من المؤسسات ، لأنه أمر يخص الوطن كله ..

وفى مقدمة ذلك : الواجب الذى ينبغى أن تقوم به وسائل الإعلام ، كالإذاعة والتليفزيون ، وإلى جوار كل هذا ينبغى أن ننبه إلى فائدة الأفلام الوطنية التى تبنى مشاعر المواطنين وتوحدهم فى خدمة بلدهم ..

كذلك يمكن أن يقدم سؤال عن المطبوعات الدينية ومدى مساهمتها فى تقوية الوحدة الوطنية . وليت البعض يقوم بدراسة للكتب التى تبحث

موضوعات دينية . وتخرج عن الأسلوب العلمى إلى الإثارة والهجوم ، أو تمس حساسيات معينة .. وليت الجميع يحرصون على الالتزام بالأسلوب الذى يقوى الوحدة الوطنية ولا يقوضها ..

وهذا الكلام ينطبق أيضا على كل المطبوعات من كتب وجرائد ومجلات . فالمطبوعات لها تأثيرها على النفوس ، إذ تتحول من كلام مطبوع ، إلى فكر وإلى شعور ، وأحيانا إلى عمل وتدبير ..

كذلك ينبغى إلقاء نظرة فاحصة على مناهج التعليم ، والتأكد من أنها تخلو من أية معلومات تثير الحساسيات أو تؤثر على الوحدة الوطنية مع الاهتمام بالأنشطة المتنوعة التى توجد فى المدارس والكليات ، بحيث توجد فيها مشاركة فعلية من الجميع ، فى جو الألفة والتعاون والوحدة ..

وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى وهى العمل الذى يقوم به المجلس الأعلى للشباب ، وكل من يساهم فى ريادة الشباب والإشراف على نشاطهم وتوعيتهم . وكيف يمكن أن توجد دراسات وندوات يناقش فيها ما يصل إلى الشباب من أفكار ومن انحرافات ومن شائعات . وعلاج ذلك كله على مستوى الفكر والإقناع . وتقديم القدوة الحسنة للشباب من خلال السير الطيبة التى حفظها لنا التاريخ ، قديمه أو معاصره ..

ويقول البابا شنودة :

من رأيى أن الشباب يحتاج إلى أن تتضح أمامهم مفاهيم معينة تحدد منهجه الفكرى ، وتكون نبراسا له فى علاقته مع الآخرين ..

فعلى الشباب أن يعرف ، وعلينا أن نعرِّفه ، أن الله لا يطالبه بما هو

خارج اختصاصه ، وبما هو خارج مسئوليته . وأنه إن كان يحب الحرية لنفسه ، فعليه أيضا أن يحب الحرية لغيره وإن اقتنع بشيء أنه خير ، ووجد من واجبه أن ينشر هذا الخير ، فليكن ذلك عن طريق الإقناع والمنطق ، وليس بالإجبار والعنف . فالإقناع أكثر ثباتا ورسوخا فى أعماق النفس ، بينما الإجبار شيء منفر وفيه قسوة ، وفيه إقلال من قيمة نفسية وإنسانية غيره . طريقة الإقناع هى عمل مع النفس من الداخل . أما الإرغام فهو تغطية الإنسان برداء من الخارج ، وربما يكون قلبه عكس ذلك ..

وعلينا أن نشرح للشباب ، أنه من غير المعقول أن يجمع بين السلطات الثلاث : سلطة التشريع ، وسلطة القضاء ، وسلطة التنفيذ . فيشرع أن هذا الأمر خاطئ ، ويقضى على مرتكبه بالموت أو بإهدار دمه ، ثم ينفذ هذا بنفسه ..

كذلك فإن موضوع العنف يحتاج إلى بحثه ، وإقناع الناس بأضراره . ويمكن إقناعهم بأدلة من الدين والمنطق ، ومن واقع الحياة ، ومن الخبرة أيضا .. والعنف لا يعطى صورة جميلة عن النفس الكاملة المتشحة بالفضائل ، ويمكن أن يسيء إلى البلد وسمعته ، ويسيء إلى الإنسان وسماحته ، ويوجد جوا مضطربا تختفى فيه المحبة ويختفى السلام وهو ضد الحرية أيضا ..

والمعروف أن المعنى السليم للحرية هو أن يمارس الإنسان حريته ، بحيث إنه لا يتعدى على حقوق الآخرين وحرياتهم ، وبحيث إنه يمارس هذه الحرية دون أن يكسر القانون أو النظام العام ..

ونحن نود أن ينشأ كل إنسان على احترام وتوقير السلطات التى منحها

الله ولاية عليه . فيحترم والديه فى البيت منذ الصغر ، ويحترم أساتذته ومعلميه فى المدرسة وفى الكلية والمعهد وفى دراساته العليا ، ويحترم رؤساءه فى العمل وفى كل مؤسسة ينتمى إليها وفى كل نشاط يمارسه . والذى ينشأ على كل هذا ، لابد أنه سيحترم أولى الأمر منه ، ويحترم أيضا القانون والنظام ، ومن كل هذا يوجد مجتمع سوى متكامل ، يعرف كل فرد فيه حدود تصرفه . وتوجد فيه أيضا آداب التعامل ، والقيم اللازمة لحماية المجتمع ..

وإن كان الناس لا يحترمون الكبار وأولى الأمر ، فإنهم لابد سيسلكون بلا مبالاة وبلا اكتراث بسلطة ، يحطم كل منهم مايراه مخالفا لفكره أو مخالفا لرغباته .. وما أخطر هذا الأمر على سلامة الوطن وسلامه ، بل ما أخطره على سلامة أية جماعة وأى مجتمع ..

من الأمور اللازمة أيضا لسلامة وترابط المجتمع : التدرب على احترام رأى الآخرين مهما كان مخالفا ، ومجادلتهم بالتى هى أحسن . والتدرب أيضا على الحوار الهادئ غير المتحفز ، بطريقة تريح الآخرين . وعدم اعتبار المخالف فى الرأى عدوا شخصيا تجب مقاومته أو تصفيته !! وما أجمل أن يتصف الحوار بالموضوعية ولا يصبح ساحة للقتال تستخدم فيها شتى الأساليب ..

ولذلك نحن نشجع دائما الكتب الدينية التى تقرب ما بين القلوب وتترك آثارا طيبة فى علاقات الناس ببعضهم البعض . وكذلك المقالات البناءة التى تنحو هذا المنحى ، وتدرب الناس على مراعاة شعور الغير ، وتدعو إلى الترابط والتآخى وتعالج كل تفكك ..

□□□

– هل هذا هو الوقت المناسب لحوار إسلامى مسيحى فى مصر كما يجرى الحوار الإسلامى المسيحى على الصعيد الدولى ؟

يجيب البابا :

نحن فى حوار دائم من خلال الحياة اليومية المشتركة .. والمثقفون يجتمعون معا وبينهم تقارب ، وليست لديهم حساسية من أى نوع .. نحن نحب مصر من أعمق أعماق قلوبنا ، ولكن قد تكون هناك أسباب تجعل المسيحيين يهتمون بالأبدية والحياة الروحية ، ويمكنك كصحفى وباحث أن تبحث عن هذه الأسباب ، ونحن لم ندع لحوار إسلامى مسيحى ، ويمكن أن يدور حول نقطتين ، الأولى هى ما هى النقاط المشتركة بين الدين الإسلامى والدين المسيحى لأن البحث عن نقاط الالتقاء سوف يجعلنا ندرك أنها كثيرة جدا . والنقطة الثانية الجديرة بالبحث هى ماهى مجالات التعاون بين الاثنين لتحقيق مصالح البلد . لكن لو دخلنا فى حوار عقيدى فهذا يحتاج إلى أهل التخصص ، والبداية أن يكون البحث فيما نشترك فيه فى المجالات الاجتماعية والأخلاقية والروحية .

فى مثل هذا الحوار يمكن أن يشترك رجال الدين باعتبارهم قيادات ، وهناك أيضا شخصيات عامة تمثل الاتجاهات الفكرية المختلفة ، ويمكن أن يجتمعوا ويتحاوروا ، والمهم أن يصلوا إلى نتيجة ذات تأثير وفاعلية فى تكوين رأى عام يدعم الوحدة الوطنية ، وأنا مستعد لتهيئة مكان هادئ جدا لهذا الحوار وتقديم التسهيلات اللازمة لإنجاح الفكرة .

وحين عاد الكلام عن الحوار الإسلامى المسيحى قال البابا :

إن مثل هذا الحوار يمكن أن يدور حول نقطتين . الأولى هى المسائل المشتركة بيننا ، وهى كثيرة وتحقق تعميقا لنقاط الاتفاق ، والثانية مجالات التعاون التى يمكن أن نشترك فيها ، ويمكن أن نجد مجالات كثيرة نتعاون فيها من أجل مجتمعنا .. من أجل النهضة العلمية ، والتنمية .. هل تظنون

أنه لابد أن نعمل فى السياسة وندخل مجلس الشعب ؟ .. كلا .. هناك مجالات كثيرة للتعاون والبلد يحتاج إلى جهود وعقول أبنائه فى ميادين كثيرة جدا .

نعم .. المسلمون والأقباط يؤمنون بالإله الواحد ويعبدونه .. وهناك من لا يؤمن بالله ويسعى إلى نشر الإلحاد .. هنا يجب أن نعمل معا لمواجهة الإلحاد والفلسفات المعادية للإيمان بالله .. أليس هذا أفضل من أن يحدث الصراع داخل معسكر المؤمنين .. ويتركوا أعداء الإيمان وأعداء الأديان ..

وقال أيضًا :

هناك مجال الأخلاق والقيم الاجتماعية ..الإسلام والمسيحية بينهما اتفاق كامل فى المبادئ والقيم .. ننشرها معا .. ونتعاون فى ذلك ..

وهناك فلسفات وأفكار تدعو إلى الانحلال .. علينا أن نحاربها معا .. المسجد والكنيسة لهما دور تربوى واحد ..

ثم قال :

مساحة الاتفاق بيننا كبيرة جدا .. ومجالات العمل المشترك واسعة جدا .. ونشكر الله لأن فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة وزير الأوقاف وفضيلة المفتى متفقون معى فى ذلك . ونحن دائما متفقون ومتفاهمون والحوار بيننا متصل .. ولو كره الكارهون .. !

فلنأخذ دروسا من نهر النيل الذى يعايشنا ونعايشه منذ بداية التاريخ .. هذا النهر العظيم .. أليس أصله قطرات من الماء نزلت مطرا وتجمعت فصارت نهرا .. ألا نتعلم منه أن أى عمل ضخم قد يبدأ بشىء بسيط ، ربما بفكرة ، وعلى رأى المثل .. « أطول مشوار أوله خطوة » .. أول خطيئة بدأت بمجرد حديث بسيط مع الحية ، وأكبر مشاجرة ربما تبدأ بكلمة .

نتعلم من نهر النيل أن نقطة الماء اللينة الناعمة ، إذا سقطت بمتابعة واستمرار على صخر أو جبل ، أمكنها أن تحفر فيه طريقا ، فنأخذ درسا مهما عن المثابرة .. هذا الماء يحمل الطين ويبدو لأول وهلة عكرا ولكنه يحمل الغرين الذى هو سبب خصوبة مصر وهو الذى كسا رملها بالطين . هذه المياه العكرة تحمل . الخير .. وفى البدء كانت المياه تنسكب على الجانبين وتكون مستنقعات ، ولكنها مالبثت أن تعمق مجراها شيئا فشيئا على مدى الزمن الطويل حتى استقرت .. يعطينا هذا الأمر فكرة عن التدرج والصبر على النفس حتى تصل إلى استقرارها بعد حين .

لحظة صمت طويلة ليعود قداسة البابا إلى تأملاته ولكن حول فكرة أخرى ، لا تبدو بعيدة عن الموضوع : ليقول : نظرة الناس إلى الخطأ والصواب تختلف من شخص إلى آخر حسب تواضع القلب أو كبريائه .. الإنسان المتواضع يركز بحثه حول أخطائه الخاصة .. وإذا توجه باللوم فإنه لا يلوم إلا نفسه .. أما غير المتواضع فلا تشغله سوى أخطاء الآخرين فتشغل كل فكره وكل حماسه .. إنه ينصّب نفسه رقيبا على الناس ، يرقب الآخرين ويحاسبهم ، ويشغل نفسه بمنصب القضاء ، فيقيم نفسه قاضيا على الناس ويصدر أحكامه عليهم .

إنه دائما يلوم الآخرين ولكنه لا يقبل أن يلومه أحد ، ولا يلوم نفسه . إنه ينتقد الآخرين ، ولا يقبل النقد .. نفسه أمام نفسه بلا خطيئة ، والخطيئة فى نفوس الآخرين فقط .. لهذا من الصعب على مثل هؤلاء أن يقبلوا نصيحة .. فى نظرهم ما الذى يفهمه الناس أكثر منهم حتى ينصحوهم به .. ولذلك يقول سليمان الحكيم .. « على فهمك لا تعتمد .. لا تكن حكيما فى عينى نفسك » ..

قال البابا وهو يتطلع إلى النجوم وهى تلمع فى السماء الصافية فوقنا :

– ليس هناك ما يمنع المسلمين والمسيحيين من أن يعيشوا فى المحبة والتعاون .. فقد عشنا معا نسيجا واحدا ومازلنا وسوف نبقى هكذا ، ولن يفلح الذين يحاولون إيجاد التفرقة أو إثارة الفتنة بين شعب واحد بتكوينه وطبيعته وتاريخه .

وهناك جماعة تجتمع على الشر وجماعة تجتمع على الإيمان والمحبة ، وستجد فى كل جماعة من هذه وتلك من يؤمنون بأديان متعددة .

والمؤمن حين يلتقى مع مؤمن من دين آخر يشعر أن بينهما رباطا مشتركا ، فهم يجتمعون والله معهم .. ومهما اختلفت دياناتنا لاتختلف فى المبادئ .. فالضمير موجود قبل أن يوجد الدين .. فكيف كان يعيش الناس قبل أول شريعة وهى شريعة موسى بآلاف السنين .. كانوا يعيشون بالشريعة الفطرية الكامنة داخل الإنسان منذ بدء الخليقة وهى الضمير .. هابيل حين قتله أخوه كانت هذه جريمة .. وشعر القاتل أنه ارتكب جريمة ولم تكن هناك وصية تقول : لا تقتل ..

يوسف الصديق رفض الخطيئة ، ولم تكن هناك وصية تقول : لاتزنى .. ولكن كان هناك « الضمير » .. كل الناس يحكمهم الضمير .. ولكن هناك ضمائر يقظة وسليمة ، وهناك ضمائر مريضة أو ميتة ، والشرائع كانت دائما تتجه إلى الضمائر السليمة .

هدوء ليل الصحراء يغرى على الاستغراق فى التأمل .. وهلال رمضان فوقنا الذى أصبح بدرا يملأ الصحراء بالنور يدفع التأمل إلى فريضة الصوم وينساب صوت قداسة البابا .

فى فترة الصوم يليق بالإنسان أن يتدرب على ضبط النفس ، كما يدرب

نفسه على ضبط الجسد ، ضبط النفس بأن يمنع الإنسان نفسه عن شيء يشتهيه أو شيء ينفعل به ، فلا يستسلم لشعور أو لدافع ، وإنما يحكم الإنسان نفسه كما قال الحكيم : « من يحكم نفسه خير ممن يحكم مدينة » .. التدريب مهم .. أن يضبط الإنسان نفسه وقت الغضب ، يضبط قلبه من الحقد والغيظ والكراهية ، يضبط لسانه عن الإيذاء والإهانة .. يضبط نفسه من الانفعال والاندفاع والتسرع .. فلا يتكلم بسرعة ، ولا يبدى رأيه بسرعة ، ولا يقاطع غيره فى حديثه ، ولا يصدر حكما دون التأكد من صحته أولا .

ويمضى الليل فى حوار وتأملات .. حديث يطول ربما نعود يوما إلى ماتبقى منه .. إلى أن نفيق إلى أن الليل انتصف .. تذكرنا ساعاتنا فجأة ، فإذا عقاربها جرت دون أن ندرى .

□□□

وعند مشارف القاهرة كانت مآذنها العالية تتلألأ بالأضواء ، تتخللها أضواء أبراج الكنائس .. وكان البدر فى السماء قد أصبح أكثر نورا وكانت السماء صافية .. لم تكن ثمة سحابة واحدة يمكن أن تحجب عنا نور السماء !

□□□